الطريق الصوفي عند الشيخ عبد الله الشرقاوي -رحمه الله-

أ. هناء بنت عطية الله اليوبي*

سلم البحث في ١٤٤٠/١١/١هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٠/١٢/٨هـ

ملخص البحث:

لم يخل العالم الإسلامي في كل عصر من أعلام حملوا العلم على أكتافهم، وجعلوا جل أوقاتهم في خدمته، يجدد الله بهم ما اندثر من الدين، وتصحيح المعتقد، والإيمان بالله، ورسله عليهم السلام، واليوم الآخر، حتى يتحقق في الناس توحيد الألوهية لله تعالى، ومن هنا فإن النظر في سير أعلام الإسلام من أهم جوانب العلم والمعرفة، مع التأمل في سيرهم، والتعرف على أطوار حياتهم وعصورهم التي عاشوا فيها، ودراسة عقائدهم، وكيف لمعوا وتبوئوا أحسن المراتب والألقاب والمناصب؟، وعلى أي منهج وطريقة كانت أفكارهم وآراؤهم؟. وممن ذاع صيته في هذا المضمار وشهد له أهل عصره وأقرانه، الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي، والذي كان شيخا للأزهر، وآلت إليه رئاسة الديوان الوطني، ومن هذا المنطلق نعرض تاريخ هذا الشيخ، الذي هو أحد أبطال الزعامة الدينية والوطنية، والذي أغضب الفرنسيين بسبب وطنيته، ومواقفه ضدهم من أجل مصر، وله مكانة علمية مرموقة في القرن الثاني عشر الهجري الذي زخر بكثرة العلماء والمؤلفات، ونستعرض في هذا البحث جانبا من جوانب علمه، وهو موقفه من الفكر الصوفي ومنهج المتصوفة.

Abstract:

In every age of the Islamic world, there were flags that carried the flag on their shoulders and made most of their time in his service. Hence, looking at the functioning of the flags of Islam is one of the most important aspects of science and knowledge, with contemplation of their progress, and identify the phases of their lives and eras in which they lived, and study their beliefs, and how they shine and take the best ranks, titles and positions? On what method and method were their thoughts and opinions ?. It is noteworthy in this regard and witnessed by his people and his peers, Sheikh Abdullah bin Hijazi Sharqawi, who was the elder of Al-Azhar, and to the presidency of the National Bureau, and in this sense we show the history of this Sheikh, who is one of the heroes of religious and national leadership, which angered the French because of patriotism , And his attitudes against them for Egypt, and has a prestigious scientific status in the twelfth century AH, which abounded the abundance of scientists and literature, and review in this research aspect of his knowledge, which is his position on Sufi thought and the method of Sufism.

* معيدة بكلية العلوم والآداب، بجامعة الملك عبد العزيز، فرع رابغ، المملكة العربية السعودية.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبعد: لقد امتاز العالم الإسلامي في كل عصر من عصوره بأعلام حملوا العلم على أكتافهم، وجعلوا جل أوقاتهم في خدمة العلم وأهله، يجدد الله بهم ما اندثر من الدين، وتصحيح المعتقد، والإيمان بالله، ورسله عليهم السلام، واليوم الآخر، حتى يتحقق في الناس توحيد الألوهية لله تعالى، ومن هنا فإن النظر في سير أعلام الإسلام من أهم جوانب العلم والمعرفة، مع التأمل في سيرهم، والتعرف على أطوار حياتهم وعصورهم التي عاشوا فيها، ودراسة عقائدهم، وكيف لمعوا وتبوئوا أحسن المراتب والألقاب والمناصب؟ وعلى أي منهج وطريقة كانت أفكارهم وآراؤهم؟.

وممن ذاع صيته في هذا المضمار وشهد له أهل عصره وأقرانه، الشيخ الإمام عبد الله بن حجازي الشرقاوي، والذي كان إماماً وشيخا للأزهر الشريف، وآلت إليه رئاسة الديوان الوطني، ومن هذا المنطلق نعرض تاريخ الشيخ (عبد الله بن حجازي الشرقاوي)، أحد أبطال الزعامة الدينية والوطنية، والذي أغضب الفرنسيين نظراً لوطنيته، ومواقفه ضدهم من أجل مصر وشعبها، وله مكانة علمية مرموقة في خضم القرن الثاني عشر الهجري الذي زخر بكثرة العلماء والمؤلفات.

وقد امتاز الشيخ بالذكاء والطموح والمثابرة والوطنية، وبرغم ضيق العيش تلقى العلوم الدينية، والعربية، على يد أشهر علماء الأزهر وأعلامه في علوم الدِّين والدُّنيا معاً، وبعد أن أنهى دراسته بدأ يلقى الدروس بالجامع الأزهر، والعديد من المساجد، كما أفتى في مذهب الإمام الشافعي، بالإضافة إلى تميزه في الكتابة والإلقاء[1].

وقد مال إلى التصوف، فتلقن مبادئ الطريقة الخلوتية على الشيخ الحفني الحفني، ثم اتصل بالصوفي الشهير الشيخ محمود الكردي ولازمه، فرباه وأرشده، وقطع به مدارج الطريق، فأصبح في مقدمة المريدين وطليعتهم.

وقد وقع اختياري للشيخ عبد الله الشرقاوي ودراسة آرائه الاعتقادية لعدة أسباب، منها:

– إنَّ الشيخ شخصية علمية بارزة ومتميزة في زمانه، جديرة بالاهتمام من الباحثين، فقد أدَّى ﷺ دوراً كبيراً في خدمة دينه ونصرة وطنه.

– العمل على تحديد المذهب العقائدي للإمام الشرقاوي، من خلال مواقفه في عرض قضايا العقيدة، كما أن الرجل الفاضل الجليل له مخالفات عقدية لمنهج السلف، يجب التنبيه عليها.

– العمل على إتحاف المكتبة العربية ببحث علمي، يستفيد منه متخصص العقيدة خاصة، وغيره من طلاب العلم.

منهج البحث:

١- الاعتماد على المنهج الاستقرائي والمتمثل في قراءة مؤلفات الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي، واستخراج لآرائه في المسائل العقدية.

٢- دراسة حياة الشيخ وعصره وثقافته، والعوامل التي أثرت فيه دراسة تاريخية وصفية، ودراسة نقدية لآرائه الاعتقادية، مستعينةً بكتب العقيدة الصحيحة لإثبات الصواب ورد الباطل.

٣- عزو الآيات إلى سور القرآن الكريم مع ذكر رقم الآية.

٤- تخريج الأحاديث النبوية والآثار الواردة في البحث وعزوها إلى مواضعها من كتب السنة، فإذا ورد في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن فيهما فإني أخرجه من كتب السنة الأخرى مع ذكر حكم أهل العلم عليه ما استعطت.

٥- شرح المصطلحات والألفاظ الغريبة.

٦- لم أوثق النقول التي ذكرها الشرقاوي إلا فيما ندر.

٧- عند ذكر المرجع لأول مرة أحرص على كتابة بياناته كاملة، ما عدا في كتب التخريج لم أذكر ذلك، واكتفيت بذكرها في المراجع خشيت الإطالة بذكرها.

٨- إعداد الفهارس اللازمة مع مراعاة الترتيب الهجائي في إعدادها، ماعدا فهرس الآيات القرآنية مراعيةً فيه ترتيب المصحف.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تتناول جزئياته في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: تتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره،، وخطة البحث فيه، والمنهج المتبع في إعداده.

المبحث الأول: تعريف الطريق الصوفي وعناصره، ونقده، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الطريق الصوفي وعناصره.

المطلب الثاني: الشيخ والمريد في الطريق الصوفي.

المطلب الثالث: نقد الطريق الصوفي.

المبحث الثاني: أركان الطريق الصوفي ومراتب الوصول، وآدابه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أركان الطريق الصوفي ونقدها.

المطلب الثاني: مراتب الوصول ونقدها.

المطلب الثالث: آداب الطريق الصوفي ونقدها.

الخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول
تعريف الطريق الصوفي وعناصره ونقده
المطلب الأول: تعريف الطريق الصوفي وعناصره

أولا: الطريق لغة واصطلاحا:

الطريق في اللغة: السبيل، والمسلك، والمذهب (٢)، فهو السبيل الذي تطرقه أرجل السالكين، وأطلق على المسلك الذي يسلكه الإنسان محمودا أو مذموما لأنه يسير عليه، وقد استعمل الطريق والطريقة في القرآن الكريم، للدلالة على السبيل أو المسلك الذي يسير عليه الإنسان (٣).

وقد سبقت الإشارة لذكر الأقوال في التصوف، وإذا عدنا إلى الصوفية في تعريفهم للطريق الصوفي، فإننا نجد أن بعضهم يزعم أن المعنى الصوفي للطريق لا يخرج عن المعنى القرآني، فالطريق في التصوف –كما يزعم– هو ذلك المسلك الذي يسلكه الصوفي للوصول إلى الله. فالطريقة عند الصوفية إنما هي سفر إلى الله تعالى، والسالك أو المريد هو المسافر، فعلى المسافر أن يسلك الطريق القويم، وأن يجتازها مرحلة بعد مرحلة، أما من أدركته عناية الله، فجذبته العناية إلى الله جذبا، فهذا ما يسمونه: المجذوب الذي طويت له الطريق طيا في سفر خاطف بفضل الله ومنته(٤).

وقد **عرف الغزالي الطريق اصطلاحا** بقوله: "بأنه تطهير محض من جانب السالك، وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار"(٥)، فهو عبارة عن تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق الدنيوية كلها والإقبال بكل الهمة على الله تعالى، وإذا ما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده المتكفل له بتنويره بأنوار العلم(٦).

ثانيا: عناصر الطريق الصوفي:

أي طريق من الطرق الصوفية التي ظهرت في البيئة الإسلامية منذ القرن السادس الهجري، تتضمن ثلاثة عناصر أساسية وهي: الشيخ، والمريد، والعهد. وهذه العناصر الثلاثة هي التي تشكل أساس أي طريق صوفي، بمعنى أنه لو فقد وغاب

أي عنصر من هذه العناصر الثلاث فإن الطريقة تفقد وجودها.

– **الشيخ:** هو بمثابة الأستاذ للمريد، فالمريد كالطالب، والطالب لا يستطيع أن يتقدم في دروسه من غير موجه ومرشد.

ويقرر الصوفية أن الفرد لا يستطيع أن يسلك طريق التصوف بمفرده؛ لأنه طريق صعب متشعب المسالك، كثير المنحنيات، مليء بالصعاب، يتربص بسالكيه أعداء أشداء في حاجة إلى جهاد، ومن هؤلاء الأعداء: الشيطان، والهوى، والنفس الأمارة بالسوء، لذلك فإنه لابد لمن يسلك هذا الطريق الصعب من مرشد أو هاد يأخذ بيده، وهو الشيخ. فالشيخ هو الذي يحدد للمريد طرق الوصول إلى الله، ويساعده على السير (٧).

– **المريد:** هو سالك الطريق الصوفي، الذي يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه، فيسلك طريقه كما يرسمه له شيخه حتى يصل إلى غايته.

– **العهد:** إذا كان الطريق يتكون ويتشكل من شيخ ومريدين، فإن الذي يربط بينهما إنما هو العهد، وهو بمعنى البيعة، وللعهد عند الصوفية صيغ متعددة لا حاجه لذكرها هنا(٨).

المطلب الثاني: الشيخ والمريد في الطريق الصوفي

أولا: تعريف الشيخ العارف بالله، وبعض أوصافه:

قال الشيخ الشرقاوي: الشيخ العارف بالله: هو الذي يرى أن الفاعل الحقيقي لكل الأعمال إنما هو الله تعالى، وأنه محل لظهور ذلك فقط. فإن الشيوخ على حالين:

– شيوخ عارفون بالكتاب والسنة قائلون بهما في ظواهرهم، متحققون بهما في سرائرهم، يراعون حدود الله، ويوفون بعهده، قائمون بمراسم الشريعة، مشفقون على الأمة، لا تأخذهم في الله لومة لائم، إن أطاعوا رأوا الحق موفقهم في طاعتهم إياه، وإن عصوا سارعوا بالتوبة والحياء من الله، ولا يهربون من معاصيهم للقضاء ولا للقدر، فإن ذلك سوء أدب مع الله تعالى، في نظرهم رحمة لعباد الله، فهؤلاء هم الذين يقتدى بهم، ويجب احترامهم وهم "الذين إذا رأوا ذكر الله"(٩).

– وطائفة أخرى من الشيوخ أصحاب أحوال، عندهم تبذير وليس لهم في الظاهر ذلك التحفظ، تسلم لهم أحوالهم ولا يُصحبون، ولو ظهر عليهم من خرق العوائد ما عسى أن يظهر، لا يعول عليه مع وجود سوء أدب مع الشرع، فإنه لا طريق لنا إلى الله إلا ما شرع، "فمن قال بأن ثم طريق إلى الله خلاف ما شرع" فقوله زور، فلا يقتدى بشيخ

لا أدب له، وإن كان صادقا في حاله، ولكن يحترم(١٠).

– ثم قال في موضع آخر: العارف حقيقة هو الذي غاب عن الإشارة والمشير والمشار به، فإذا وقعت منه إشارة لا يشهدها ولا يشعر بها، لكون المشير والمشار إليه حينئذ هو الله تعالى، لأن العارف حينئذ في مقام الجمع، ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه، ثم نقل قول لأحد مشايخهم: "من تكلم في مقام الجمع فليس بمتكلم، وإنما المتكلم الحق سبحانه على لسان عبده، وهو قوله في الخبر القدسي: (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق)" (١١).

– وأما عن صفات الشيخ العارف بالله فقد قال الشيخ الشرقاوي: أن تكون همته متعلقة بالله، مرتفعة عن المخلوقين، لا يلجأ في حوائجه إلا إلى الله تعالى، ولا يتوكل في أموره إلا عليه ﷻ، قد سقط الناس من عينه، فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا، وسقطت نفسه من عينه، فلا يشاهد لها فعلا ولا يقضي لها حظا، ويكون في جميع أعماله جاريا على مقتضى الشرع من غير إفراط ولا تفريط. فصحبة من هذه حاله –وإن قلت عبادته ونوافله– مأمور بها للمريد؛ لأنها جالبة لكل فائدة دينية ودنيويه، بخلاف من لم يكن على هذا الوصف، وكان شأنه المعاملة الظاهرة لا غير، فلا فائدة في صحبته(١٢).

ويرى الشيخ الشرقاوي أن من صفات العارفين الموحدين، أنهم سالمون من الرياء الجلي والخفي؛ لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك، وغيب عن نظرهم رؤية الخلق، بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة، فلم يرجوا منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قلبهم وجود مضرة، فأعمال هؤلاء خالصة وإن عملوها بين أظهر الناس(١٣). ثم نقل الشيخ الشرقاوي ما جاء في الفتوحات في الباب الواحد والثمانين والمائة: "الشيوخ نواب الحق في العالم، كالرسل عليهم السلام في زمانهم، بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع من الأنبياء عليهم السلام، غير أنهم لا يشرعون، فلهم حفظ الشريعة في العموم، ومالهم التشريع، ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب في الخصوص" (١٤).

ثانيا: تعريف المريد وصفاته:

في بداية الحديث عن المريد وصفاته نجد أن الشيخ الشرقاوي قسم أهل الله تعالى قسمين: مرادين ومريدين، وإن شئت قلت: مجذوبين(١٥) وهم أهل الشهود، وسالكين(١٦). فالمريدون السالكون في حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية

الأغيار والآثار، والأكوان ظاهرة لهم موجودة لديهم، والحق غيب عنهم فلم يروه، فهم يستدلون بها عليه في حال ترقيهم. والمرادون –وهم المجذوبون– واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم، وتعرف إليهم فعرفوه، وانحجبت عنهم الأغيار، فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم إن جذبوا ابتداء، أو بعد سلوكهم إن كانوا من أهله، وهم العارفون، فإنهم من أهل الجذب أيضا، لكن لشدة تمكنهم في أحوالهم لا يظهر عليهم، ولذا قيل: "نهاية السالك بداية المجذوب" وورد "أعظم الناس جذبا الأنبياء والمرسلون"(١٧).

وشأن السالكين الاستدلال بالأشياء على الحق سبحانه وتعالى، فأول ما ظهر لهم الآثار وهي الأفعال، استدلوا بها على الأسماء، والأسماء على الصفات، وبالصفات على وجود الذات، وهم الذين يقولون: ما رأينا شيئا إلا ورأينا الله بعده.

وشأن المجذوبين الاستدلال به على الأشياء، فأول ما ظهر لهم حقيقة كمال الذات المقدسة، ثم ردوا منها إلى مشاهدة الصفات، ثم رجعوا إلى التعلق بالأسماء، ثم أنزلوا إلى شهود الآثار، وهم الذين يقولون: ما رأينا شيئا إلا رأينا الله قبله.

وما بدأ به السالكون من شهود الآثار إليه انتهاء المجذوبين، وما ابتدأ به المجذوبون من كشف حقيقة الذات إليه انتهاء السالكين، لكن ليسا متحدين من كل وجه، فنهاية السالكين وإن كان فيها جذب، لكنه مصحوب بالتمكن وعلم أحوال الطريق ومعرفة عقبات النفوس، فإنهم لم يصلوا إلى ذلك إلا بعد معاناة وتعب ومشقة، بخلاف بداية المجذوبين، فإنها ليس معها تمكن، فلذا يحصل لهم الغيبة(١٨)، وتصدر منهم أفعال لا يدرون ما هي، ويتركون الفرائض، ويفعلون أفعالا منكرة في الشرع ولا يعاقبون على ذلك، لتغطية عقولهم التي عليها مدار التكليف بالأنوار، فالسالكون عاملون في ترقيهم على طريق الفناء والمحو، والمجذوبون مسلوك بهم في تدليهم طريق البقاء والصحو(١٩).

فالمجذوب ما دام في جذبه لا يصلح للمشيخة، لعدم مروره على المقامات، ومعرفته بغوائل النفوس، ولاشتغاله بحاله عن حال غيره، كما أن السالك إذا لم يصل إلى درجة المشاهدة والتجلي، لا يصلح للمشيخة، لنقصه، وإنما يصلح لها من جمع بينهما، سواء تقدم سلوكه على جذبه أو العكس(٢٠).

ومن صفات المريد التي ذكرها الشرقاوي:

– حقيقة صدق عبودية العبد لله تعالى: والعبودية هي الذلة والافتقار وليست بنعت إلهي، فالعبد معناه الذليل، يقال: أرض معبدة أي مذللة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢١) وأن تكون عبودية مصاحبة للاستقامة وهي: ملازمة الطريق المشروعة بأن تكون حركات العبد وسكناته موافقة للشرع، ولم يتحقق بمقام العبودية على كماله أحدا مثل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذا شهد الله تعالى بأنه عبد مضاف إليه بقوله: وإنه لما قام عبد الله ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (٢٢)(٢٣) .

– التسليم لأمر الله وترك الاختيار: قال الشرقاوي في شرح الحكم العطائية:" ارح نفسك أيها المريد من التدبير لأمر دنياك، وهو أن يقدر الشخص في نفسه أحوالا، يكون عليها على ما تقتضيه شهوته، ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لأجل ذلك، وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه، ولعل أكثر ما يقدره لا يقع، فيخيب ظنه؛ لأن الأمر مفروغ منه، إذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى، وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به، فيكون قيامك فضولا لا ينبغي أن يتلبس به ذوو العقول، وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة الأحكام الربوبية ومنازعة القدر، وإنما خاطب المريد بذلك لأنه إذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله، تعطلت عليه أسباب معاشه في الغالب، فيأتيه الشيطان ويوسوس له، ويصير يدبر في نفعه أمورا لا يقع أكثرها، وذلك يشغله عن ما هو بصدده، فيرجع عما هو متوجه له، ودواء ذلك كثرة الذكر والرياضة، حتى يرجع عنه الشيطان وتحصل له الراحة من تعب التدبير"(٢٤).

وقال في موضع آخر: "فالواجب على السالك أن يمكث فيما أقامه الحق فيه ويرضى به، حتى يتولى الله إخراجه منه، ولا يخرج بنفسه وإرادته وتسويل الشيطان فيقع في بحر القطيعة، والعياذ بالله تعالى"(٢٥). وقال: فإذا كان المريد في حال بدني أو قلبي لا يذمه الشرع، لزمه حسن الأدب في اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه، فإذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب، أو كان في صنعه وأراد الانتقال عنها لغيرها، كان قليل الأدب مع مولاه، جاهلا بما يناسب حضرته، وكذا إن كان في حال قبض وأراد الانتقال عنه إلى البسط، قال بعضهم: "لي منذ أربعين ما أقامني الله في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته"، وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته، فإن سخط تلك الحال، وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه، وأراد أن يحدث غير ما أظهر الله تعالى، فقد بلغ غاية الجهل بربه وإساءة الأدب في حضرته، وهذا من معارضة حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية، وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة(٢٦).

– ومن صفاته أيضا: الرضا بعدم الشهرة وخمول الذكر وترك الغرور: بأن لا يكون لعبد شعور بما من الخلق إليه من نظر وإقبال، ولا تشوف إليه ولا طلب له، وإنما يكون شعوره وتشوفه وطلبه مقصورا على ما من الله إليه من نظره إليه وإقباله عليه؛ لأن الصدق في العبودية هو طرح الأغيار، وعدم الالتفات إليها رأسا، فلو كنت صادقا في عبودية الرب لقنعت بعلمه بك، ولم تحب أن يعلمك غيره، فتغار على حالك من رؤية الأغيار له، فإن إقبال الخلق على المريد قبل كماله يوجب له التصنع لهم، ومداهنتهم وغير ذلك من الآفات، وذلك يوجب انحطاط رتبته وسقوطه من عين الحق والعياذ بالله، قال بعضهم، "من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب"(٢٧).

المطلب الثالث: نقد الطريق الصوفي

الطريق الصوفي الذي شرحه الشرقاوي هو طريق مشايخه الذين شرح حكمهم، وهما: ابن عطاء السكندري، الشيخ الكردي الخلوتي، ومن خلال شروحه أشاد بطريقهم وسلوكهم ونتائجها. وما وجد في هذه الطرق من أثر صالح فهو من آثار الكتاب والسنة، وفيهما الكفاية، ولما كانت آثار النبوة عند قدمائهم واضحة معلومة، كانوا للحق أقرب، ولاعتقاد أهل السنة والجماعة ألزم، لكن لطول العهد، وضعف آثار الرسالة عند متأخريهم، ظهرت بدع وخرافات على هذه الطرق، وبرزت آثار سيئة منها على الإسلام والمسلمين. وأخطرها ما كان متعلقا بالاعتقاد.

لذلك يرى ابن تيمية –رحمه الله– أن التصوف عبارة عن علم السلوك، وهذا العلم أسهل ما يمكن تلقيه من الكتاب والسنة مباشرة، فالسلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله ﷺ من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة؛ فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لا بد للمؤمن منه، ولهذا كان جميع الصحابة يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة، والتبليغ عن الرسول ﷺ لا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة، ولم يحصل بين الصحابة نزاع في ذلك، كما تنازعوا في بعض مسائل الفقه(٢٨).

ولما كان من المقرر المعهود عند الصوفية أن هذا العلم وهو الأخلاق والسلوك لا يتأتى تعلمه والتحلي به إلا بطريق الشيخ، بين الشرقاوي الصفات التي لا بد للشيخ من التحلي بها، من حيث كونهم القدوة الحية التي يحسن بها الوصول لثمرة العلم، وهي صلاح الأعمال والسلوك، لكنه بالغ في بعض أوصاف المشايخ العارفين

بما يخالف الشرع. فإن كان الذي عليه المشايخ هو الحق والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: فهو المطلوب، وأما المتعالمون الجهال فكثير منهم وإن دعوا الناس إلى الحق، فإنما يدعون إلى أنفسهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم؛ طلبا للجاه والشرف والترؤس على الناس؛ فإذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا(٢٩).

قال ابن تيمية: "كان الشيوخ العارفون كثيرا ما يوصون المريدين باتباع العلم والشرع"(٣٠). وقال ابن قيم الجوزية: "إذا أراد العبد أن يقتدي برجل؛ فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين، وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي، فإذا كان الحاكم عليه الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً... فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله واتباع السنة فليتمسك بغرزه"(٣١).

ولكننا نجد أن العارف في الصوفية مقيدٌ في طريقه بمجموعة من القيود التي ألزم نفسه بها، ولم تفرض عليه من خارج ذاته، وكلام الصوفية عن العارف يختلف فيما بينهم إلى درجة التناقض أحيانا، وهذا أمر طبيعي إذا أخذنا في اعتبارنا أن كل صوفي يتكلم عن العارف من واقع حاله هو، ومن واقع غربته الذاتية البحتة، فليس هناك منهج ملزم لجميعهم، متفق عليه فيما بينهم(٣٢).

ولعل ما يمكن أن يوجه للشيخ الشرقاوي في مسألة الشيخ والمريد من نقد يكمن في عدة أمور:

– استخدامه لفظ الشيخ (العارف بالله)، واستخدام كلمة العارف للإشارة إلى أهل المقامات والإيمان استخداما فيه نظر، إذ أن استخدام كلمة (العالم) أولى وأفضل، حيث إنها كلمة قرآنية، امتدح الله بها بعض عباده فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٣٣)، إذ مطلق معرفة الشيء أقل بكثير من العلم به.

– قول الشرقاوي عن الشيخ العارف: هو الذي يرى أن الفاعل الحقيقي لكل الأعمال إنما هو الله، وأنه محل لظهور ذلك فقط. فقوله هذا إشارة واضحة إلى عقيدة الجبر، والتي تكاد تكون متأصلة لدى الاتجاه الصوفي بشكل عام، وقد سبق مناقشة هذه المسألة في المبحث السابق.

– ما ذكره الشرقاوي من أن الشيوخ الذين ينبغي الاقتداء بهم، هم المراعون لحدود الله، العارفون بالكتاب والسنة، هو أمر حسن موافق لما عليه أهل السنة والجماعة.

– ما ذكره الشرقاوي عن الشيوخ أصحاب الأحوال المضادة للشرع، وأنه لا ينبغي

الإقتداء بهم، أمر حسن؛ إلا ما قاله من أنه يسلم لهم أحوالهم ويحترمون، فإن أمثال هؤلاء في الحقيقة يجب تأديبهم ونصحهم، وإرشادهم، وكف أيديهم عن الحرام إذا وقعوا فيه، ولو ظهر على أيديهم ما ظهر من المخاريق، فإنها في الحقيقة أحوال شيطانية لا ربانية.

– ما ذكره الشرقاوي في وصفه للعارف حقيقة: بأنه الذي غاب عن الإشارة والمشير والمشار به، فإذا وقعت منه إشارة لا يشهدها...لكون المشير والمشار إليه حينئذ هو الله تعالى، إلى أن نقل كلام بعض أهل التصوف في هذه المسألة، فنجد في وصفه عودة للكلام المجمل المهوم، الذي لا يظهر منه إلا عقيدة وحدة الوجود، فلا يظهر في الوجود إلا الله، فهو المشير والمشار إليه وهو الإشارة، –وإن كان الشيخ قد نفى ذلك في بعض كلامه–.

وغني عن البيان أن عقيدة وحدة الوجود من أبطل العقائد، وهي عقيدة إلحادية تجعل العبد والرب واحدا لا فرق بينهما. ولا نستطيع أن نجزم بأن الشيخ يؤمن بهذه العقيدة على هذا الوجه، بسبب ما سبق نقله عنه من إثباته الفرق بين العبد والرب، وأنه لا وجه مطلقا للقرب المادي بينهما، ولكن إصرار الشيخ وأمثاله على استخدام هذه العبارات الموهمة إصرار خاطئ، لأن المطلوب من المؤمن التأدب مع الله تعالى بما يجوز له، وما لا يجوز، فإذا كانت الجن قد تأدبت مع الله تعالى في حكايتها عن قضية الشر فقالت: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾(٣٤) فلم تنسب الشر إليه مع كونه ﷻ خالق كل شيء، فكيف بذكر ألفاظ توهم في حقه سبحانه أنه والمخلوق شيئا واحدا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

– ما نقله من أن أعظم الناس جذبا (الأنبياء والمرسلون)، فإن مثل هذا اللفظ أي: (الجذب) لفظ لم يرد في الكتاب والسنة في حق الأنبياء عليهم السلام، والوارد في شأنهم مما يليق بهم لفظ (الاصطفاء)، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (٣٥).

– ما ذكره من الفرق بين السالك والمجذوب أمرٌ لا دليل عليه، وقد رتب عليه أن المجذوب قد تصدر منه أفعال منكرة في الشرع، ولا يعاقبون عليها بدعوى تغطية عقولهم بالأنوار، وهذا باطل؛ فلا تسقط العقوبة والمؤاخذة إلا على المجنون ومن لم يبلغ الحلم، فلا يوجد أحد بمنأى عن تصحيح خطئه، وعن إنكار مخالفته للشرع كائنا من كان، فإن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب شرعا، قال الله

تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣٦).

– كذلك يؤخذ عليه ما جاء به في صفات المريد، وأنه ينبغي عليه ترك الاختيار، وعدم تدبير أمور دنياه، فظاهر أن هذا خطأ، وهو من التواكل المنهي عنه شرعا، فالله تعالى أمرنا بالأخذ بالأسباب الدينية والدنيوية، وعدم التقصير فيها، مع التوكل القلبي به ﷻ، قال رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»(٣٧)، فالطير لم تجلس في أعشاشها تنتظر الرزق، وإنما طارت، وسعت إليه، فوهبها الله إياه بفضله وكرمه، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وباطل منهي عنه، قال الإمام أحمد: "وليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق وإنما أراد –والله تعالى أعلم– لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا أن الخير بيده ومن عنده، لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا، وتروح بطانا، لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم ويغشون ويكذبون، ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل"(٣٨).

– ويستتبع ذلك ما ذكره من أن المريد يقع في ذنب إن أراد الانتقال من حال إلى حال، أو من صنعة إلى أخرى، وأنه سوء أدب مع الله تعالى، فذلك أمر خاطئ لا دليل عليه، فالمؤمن ينبغي دوما أن يطلب الثبات في إيمانه، والزيادة والترقي في درجاته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٣٩)، فمن المشروع للإنسان أن يكسب رزقه الدنيوي، وينوع في أعماله ويجدد إن وجد أن هذا هو الطريق الأفضل، إذ المنع من ذلك، واعتباره سوء أدب مع الله ﷻ هو في الحقيقة أمر باطل لا دليل عليه، ويكاد أن يكون من باب تحريم ما أحل الله–عَزَّوَجَلَّ–، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٤٠).

– وما ذكره الشرقاوي عن أن المريد ينبغي أن يراقب الله، وأن يكون شعوره وتشوفه مقصورا على ما من الله تعالى إليه، أمر حسن تدل عليه نصوص الكتاب والسنة.

المبحث الثاني
أركان الطريق الصوفي ومراتبه وآدابه
المطلب الأول: أركان الطريق الصوفي ونقدها

أركان الطريق الصوفي:

يذكر الشرقاوي أن للطريق الصوفي أركانا أربعة بالنسبة للمريدين، وهي: العزلة، الصمت، والجوع، والسهر، وبهذه الأربعة تصير الأبدال(٤١) أبدالا.

أولا: العزلة:

وهي: أن يعتزل المريد من كل صفة مذمومة وكل خلق دنيء، والعزلة إما في قلب المريد، ومعناها: أن يعتزل به عن التعلق بأحد من خلق الله تعالى من أهل ومال وولد وصاحب، وكل ما يحول بينه وبين ذكر ربه بقلبه حتى عن خواطره، ولا يكون له هم إلا واحد وهو تعلقه بالله تعالى، وإما في حسه، ومعناها: أن عزلته في ابتداء حال، الانقطاع عن الناس، وعن المألوفات، إما في بيته وإما في السياحة في أرض الله، فإن كان في مدينة فبحيث لا يعرف، وإن لم يكن في مدينة فليزم السواحل والجبال والأماكن البعيدة من الناس. فإن أنست به الوحوش وتألفت به وأنطقها الله تعالى فكلمته أو لم تكلمه فليعتزل عنها، ويرغب إلى الله تعالى في أن لا يشغله بسواه، وليستمر على الذكر الخفي، وإن كان من حفاظ القرآن يكون له حزب في كل ليلة يقوم به في صلاته ليلا(٤٢).

ثم قال الشرقاوي: العزلة عند عامة أهل الطريق: عبارة عن هجر الخلائق، وملازمة البيوت، طلبا لسلامة المعتزل من الناس وسلامة الناس منه، فإن ارتقى إلى طور أعلى من هذا وصار من الخاصة، حول عزلته رياضة، وتقدمت بين يدي خلوته لتألف النفس قطع المألوفات من الأنس بالخلق، فإنه يرى الأنس بهم من العلائق الحائلة بينه وبين مطلوبه من الأنس بالله تعالى والانفراد به، فإذا انتقل من العزلة بعد إحكامه شرائطها سهل عليه أمر الخلق (٤٣).

وجاء عن الشرقاوي أيضا أنه: لا شيء أنفع لقلب المريد في التطهر من غفلاته، والقرب إلى حضرة مولاه مثل اعتزاله عن الناس؛ لأن المريد إذا كان مخالطا للناس، اشتغل نظره بالمحسوسات، فلا يتفكر قلبه إلا فيها، ولا يزال ناظرا لعالم الشهادة، فإذا اعتزلهم انعكس الحال، وجال قلبه في عالم الغيب.

وقال أيضا: وجاء في الخبر: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)؛ وذلك لأنه يصل بها إلى معرفة حقائق الأشياء، وإلى تعظيم الله، وتعظيم كل ما

يرضيه، فيفعله، وتحقير كل ما يسخطه فيتجنبه، ويطلع به على خفايا آفات النفس ومكائد العدو وغرور الدنيا، ويتعرف به وجوه الحيل في التباعد عنها، ويسلم به من الآفات الناشئة عن مخالطة أهلها(٤٤).

وبالعزلة المذكورة يحصل التمرن على الخلوة (٤٥). والخلوة من جملة ما يجاهد به الإنسان نفسه ليروضها، ويشير الشرقاوي إلى أنها ثلاثة أقسام: خلوة سالك، وخلوة عارف، وخلوة محقق. فخلوة العارف في الملأ: وهي عبارة عن الحضور مع الحق تعالى في كل نفس، ولا تكون إلا لمن جمع وفرق، حتى شهد الكثرة في الوحدة، والوحدة في الكثرة. وخلوة المحقق الكامل: وهي الخلوة بالله وحده وهي أتم من الأولى، إذ لا يلزم من الحضور مع الله تعالى التخلي عن جميع الأغيار. وخلوة السالك: وهي التي بصدد بيان شروطها، وهي طريق موصل لهاتين الخلوتين.

ثم أشار إلى أنه لابد لمريد دخول الخلوة من تقديم العزلة حتى تألف نفسه الانفراد، ويقصد بعزلته عن الخلق التقرب إلى الله تعالى، مع مجاهدة النفس على التخلق بالأخلاق الحميدة، والانسلاخ عن الأوصاف الذميمة، قال: ولا بد له أيضا من تقديم الرياضة، وهي تقليل الطعام والشراب والمنام، فيمكث الأيام الكثيرة من غير شرب، فإن العطش من الشهوات الكاذبة، وتركه لا يؤثر في المزاج شيئا كما جربه الأشياخ، فقد كان بعضهم يمكث الخمسة عشر يوما والأكثر بلا شرب، وعلامة صحة الرياضة لترك شرب الماء كما قال بعضهم أن يحدث الله في بعض أسنانه أو لسانه عين ماء تجري في فيه يروى منها(٤٦).

ومن ثم جاء على ذكر أوصاف السالك، فقال: إن السالك ينبغي أن يكون شجاعا حاضر القلب عند سماع زعقة أو صيحة، طيب اللباس والمكان، عارفا بما يحتاج إليه من طب الأبدان، ويعزم حال دخوله على أنه لا يخرج منها إلا إلى القبر.
وفي شروط الخلوة ذكر الشيخ الشرقاوي: أن تكون الخلوة بإمرة شيخ عارف، وينبغي أن تكون خلوته في الأشهر الحرم، والأيام الفاضلة كالعشر الأخر من رمضان وشهر المولد إن أمكن ذلك، قال بعضهم: ولا ينبغي أن يشتغل في الخلوة بغير الفرائض وركعتي الطهارة والرواتب. وليس للمختلي أن يخرج لصلاة الجمعة والجماعة إلا إن كانت خلوته بالمسجد الذي تقام فيه، فإن كثرة الحركة ليست مطلوبة منه، ولا يرد ذلك أن الجمعة والجماعة لا يتركان إلا لعذر؛ لأن هنا أعذارا كثيرة، فقد كان بعض العارفين لا يخرج إلى صلاة الجماعة لما يعرض له في طريقة من المنكرات التي لا

يقدر على إزالتها، وبعضهم كان يمنعه من الصلاة مع الجماعة ما يشمه من نتن قلوب المصلين؛ لما احتوت عليه من نجاسة الغفلة والأمراض القلبية، ومن أعذار المختلي أيضا في ترك الجمعة، أن يكون في جمعية قلب مع الله تعالى، والخروج يذهب ذلك، فإن الخروج إلى الخلق فيه تفرقة للجمعية على الله تعالى، وأيضا فهو مريض مرضا معنويا(٤٧).

وفي بيان مدة الخلوة قال الشيخ الشرقاوي: وأقل ما تكون الخلوة ثلاثة أيام بلياليها، ولا غاية لأكثرها خلافا لما يتوهم من أن غايتها أربعين يوما، فقد اختلى بعضهم تسعين، وبعضهم سنين كما وقع لأحد رجال الطريقة الخلوتية، فإنه اختلى نحوا من ثلاثين سنة في طاق المسجد(٤٨).

ثم قال الشيخ الشرقاوي: **واعلم أن نتائج الخلوة خمسة:**

١.الواقعات المنامية: وهي ما يراه في منامه من تصور معاصية أو طاعته التي أخل بها أو أكملها، في صور حيوانات أو نباتات أو جمادات أو ماء أو نار أو غير ذلك؛ ليعرف كمال صفاته أو نقصها، فيرجع إلى مولاه، فهذا التصور من جملة الكرامات التي يكرم بها السالك.

٢.المشاهدات الغيبية: عبارة عما يظهر للسالك في سلوكه من الأحوال الباطنية، سواء كان مشهدا سماويا أو أرضيا، وتطلق المشاهدة عند القوم على رؤيته تعالى في الأشياء؛ أي: شهوده إمداده وتجليه فيها، وتطلق على حقيقة اليقين من غير شك.

٣.المكاشفات الملكوتية: عبارة عما يكشف للقلب من حقائق الملكوت، والوقوف على حقائق الأشياء والحكم عليها بما هو لها في نفس الأمر، وربما تجسدت له الأرواح العلوية في صور جميلة، إلى غير ذلك من العجائب والغرائب التي لا يعبر عنها لسان.

٤.التجليات الخفية: عبارة عما ينكشف للقلوب من عالم الغيوب، والتجليات أربع: تجلي أفعال، وتجلي أسماء، وتجلي صفات، وتجلي ذات.

٥.الوصول إلى القرب من الحضرة العلية: فهو عبارة عن القرب منه تعالى، ولا يكون إلا بالفناء عن الوجود، ودوام الشهود(٤٩)، وإلا فكيف الوصول إلى ذات لا يقيدها مكان ولا يمر عليها زمان، بل هي مطلقة حتى عن الإطلاق(٥٠).

ثم أشار إلى أن هذه الخلوة وإن لم تكن من المقامات، لكنها قد تحصل لصاحبها مقامات سنية، وبين أيضا خطورة الخلوة وأن صاحبها مسئول، ولذا كان الراجح عند

بعضهم تركها، ثم ذكر أن الكشف يمنع منها، فمن كوشف وعرف أن الظاهر في أعيان العالم هو الله تعالى وما ثم سواه، كان في خلوة بربه دائما، فيكون اتخاذ الخلوة المعهودة دليلا على جهله(٥١).

النقد: تعتبر العزلة أول عبادة مارسها الصوفية وحثوا عليها، وهي في الحقيقة نتيجة طبيعية لأصول العبادة الصوفية التي تستند إلى ترك الدنيا والتوكل السلبي، وقد أشار الشيخ الشرقاوي في هذه المسألة إلى اهتمام الصوفية بالعزلة والخلوة اهتماما شديدا، وممارستهم لها وحث مريديهم عليها والإشراف على الدخول فيها.

وهذا الأصل الصوفي مخالف للإسلام، حيث يعطل هذا الأصل الإسلام ولا يطبقه أصلا، بالإضافة لتفويت كثير من العبادات كصلاة الجمعة والجماعة في العزلة، وكمجالات البر والإحسان والجهاد في سبيل الله، لأعذار مرفوضة وغير مقبولة شرعا، وذلك كقوله أن بعض العارفين لا يخرج لما يعرض له من المنكرات التي لا يقدر على إزالتها، نقول: أن المنكر لا يدفع بمنكر أعظم منه، فإن ترك صلاة الجمعة والجماعة منكر كبير، لا يرتكب بزعم أن صاحبه لا يستطيع انكار ما يجده من المنكرات في طريقه. وأوهى من هذا العذر ما ذكره من أن العارف يشم نتن قلوب المصلين، لما احتوت عليه من نجاسة الغفلة والأمراض القلبية، فإن هذا يتضمن أمرين: أولها: أن هذا مخالف لسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ما ترك صلاة الجماعة حتى في مرض وفاته، وربما صلى معه بعض المنافقين. والثاني: العجب بالنفس واحتقار بعض خلق الله وإن كانوا من العصاة.

ومن الأعذار الواهية كذلك ما زعمه من أن قلب العارف في جميعة(٥٢) مع الله تعالى، فلا يريد أن يقطعها، ويذهب لصلاة الجمعة، ولكن أي عارف مهما بلغ لا يمكن أن يصل لمرتبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل حتى لمرتبة الصحابة ﷺ، الذين لم يترك أحد منهم صلاة الجمعة والجماعة لمثل هذه الأسباب الواهية، وإن كان المرض المادي لم يقعد صاحبه عن صلاة الجمعة والجماعة، فلا يجوز تركها؛ كما في قصة الأعمى الذي استأذن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي في بيته فلم يأذن له؛ لأنه يسمع النداء(٥٣)' فإذا كان مثل هذا لم يأذن له الرسول ﷺ في تركها، فهل يأذن لمن يزعم أنه مريض مرضا معنويا.

ومثل هذا الأمر تدخل من بابه الشياطين، وتلبس على الناس دينهم، فتجعلهم يتركون كثير من الواجبات، وينتهكون المحرمات، لمثل هذه الأعذار الواهيات. ونذكر

في هذا المقام حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ترك ثلاث جمعاتٍ من غير عذرٍ كتب من المنافقين»(٥٤) ناهيك عن أن العزلة التي يدعو إليها الصوفية قاتلة ومدمرة لدين المسلم وعقله وبدنه ومجتمعه.

ويرى الشيخ الشرقاوي ضرورة الخلوة والعزلة عن الخلق في بداية الطريق، وإن كان قد ذكر بعد ذلك أن طريق الخلوة خطير، وصاحبها مسئول، وأن الراجح عند بعض الصوفية تركها، وهذا من التناقض الجنسي –إن صح التعبير– الذي وقع فيه الشيخ الشرقاوي، فإذا كان يرى أن العزلة لابد منها للسالك، فلماذا لم يرد على هذا الفريق من الصوفية الذين رجحوا تركها؟

وأما مكان الخلوة وزمانها فلم يذكر مكاناً بعينه كما فعل بعض الصوفية، وفي زمانها أشار إلى أنها ينبغي أن تكون في الأشهر الحرم، وشهر المولد، والأيام الفاضلة كالعشر الأواخر من رمضان إن أمكن، وأشار أن أقلها ثلاثة أيام ولا حد لأكثرها، وقد ذكر بعض مشايخ الصوفية أقوال في زمانًا محددا للخلوة، مختلفة عن ما ذكره الشرقاوي، وهذا دليل على تناقضهم وعدم استنادهم لدليل شرعي.

ثم إذا انتقلنا إلى ما يفعله هؤلاء الصوفية في خلواتهم، فإنا نجدهم يتعبّدون في خلواتهم بعبادات لم ينزل الله بها من سلطان، ومن هذه العبادات البدعية: الذكر باسم الله المفرد (الله الله)، (هو هو)، إضافة إلى ما سبق من تركهم لكثير من مجالات البر والإحسان، والجهاد في سبيل الله، والأصل في المؤمن عدم العزلة؛ لأن الإسلام يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا اعتزل الناس، فمن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ ومن الذين يقفون على الثغور ويحاربون الكافرين؟ ومن الذي يبيّن الباطل؟ ومن الذي يعلم الناس الحق ويرشدهم إليه؟ ومن الذي يقضي بين الناس بالحق؟ قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٥٥). فعلى الرغم من عظم الجهاد في سبيل الله، فقد أمر الله أن لا ينفروا جميعا للجهاد، وأن تبقى منهم طائفة ليتفقهوا في دين الله ويدافعوا عنه.

وقد تكون العزلة مشروعة ومأمورا بها، كاعتزال الأمور المحرمة. كما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه حينما دعاهم ولم يستجيبوا له ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾(٥٦)، وتجوز العزلة لطلب العلم مع المحافظة على صلاة الجماعة والجمعة، قال ابن تيمية –رحمه الله–: "وإذا أراد

الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة فهذا حق"(٥٧)، وكذلك قد تجوز لإي أحوال نادرة، كانتشار الفتن العظمى، مثل التي قال عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»(٥٨)، ومثل هذه ليست من عزلة الصوفية بشيء؛ بل هي عزلة مع الالتزام بالعبادات، ولكن صاحبها اضطر إليها هربا من فتنة عامة أصابت العباد كلهم.

والدارج في حال المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحال الصحابة والتابعين ﷺ، أنهم ما كانوا يعتزلون مثل هذه العزلة والخلوة التي اخترعها الصوفية، فالذي شرعه الإسلام هو الاعتكاف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فالاعتكاف يكون في مسجد جامع تقام فيه الصلوات. يقول ابن الجوزي: "كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد، إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، وإنّما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين، وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم، وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب"(٥٩).

فالحاصل أن الصوفية قد زيّن لهم الشيطان العبادات البدعية، ولا سيَّما أثناء خلوتهم المزعومة، وبغض السبل الشرعية، وحبب إليهم الخلوة والاعتزال ليحرموا ثواب الجماعة والجمعة، وقد غاب عن الصوفية أنه لم يبق طريق إلى الله إلا بإتباع محمد ﷺ وأصحابه، وأن هذه العزلة والوحدة والاستغناء عن الأهل والولد وذوي الرحم وأصحاب القربى والأصدقاء والأخلاء، هي من الأعمال المخالفة للشريعة الإسلامية، والموجبة للحرمان عن أجر السعي إلى ذكر الله، وأداء الجمعة، والاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم والإصغاء، ومعاشرة المسلمين بالبّر والصلة، وحسن الخلق وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وزيارة القبور وخدمة الوالدين وغيرها من الخلق الحسن(٦٠).
ومن جملة ما ذكره الشيخ الشرقاوي من أمور يقوم بها صاحب الخلوة وتتناقض مع شرع الله، طلبه أن يترك الإنسان في زمن العزلة الطعام والشراب حتى يروض نفسه، وهذا مما يتعارض مع قوله تعالى:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ﴾(٦١)، إذ في هذا تحريم ولو جزئي لطيبات أحلها الله ﷻ، ولم ينقطع عنها الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا الصحابة والتابعون الكرام ﷺ. وكذا زعمه أن الخلوة والعزلة لا تكون إلا تحت إشراف شيخ ونحوه، فهذه شروط فاسدة ركبت على عمل فاسد، وقد اعتمد الشرقاوي وغيره من الصوفية على ذكر أحوال العارفين المعتزلين بروايات لا سند لها، وخرافات لا يقبلها عقل سليم، كمثل ما ذكره عن بعضهم "من أن الله يحدث في بعض أسنانه أو في لسانه عين ماء يرتوي منه، فأي عقل سليم يقبل هذا؟!، وأشار الشرقاوي إلى أن الغاية من دخول الخلوة والثمرة المرجوة منها عند الصوفية، وهي: أنها توصل السالك إلى (الكشف) كعبارة "فمن كوشف وعرف أن الظاهر في أعيان العالم هو الله تعالى وما ثم سواه"، ومثل هذا يؤدي إلى القول بعقيدة وحدة الوجود(٦٢) الفاسدة، وهذه العقيدة هي الفتح الأعظم عند كثير من متأخري الصوفية، ولا شك أن دين الإسلام بريء من هذه الخلوة الصوفية، وما تؤدي إليه من عقائد فاسدة، فلا يشرع في ديننا سكنى البوادي والجبال، إلا عند الفرار من الفتن، وليس خلاف أهل السنة مع الصوفية في الأحوال التي تجب فيها العزلة، أو تستحب، أو تجوز، وإنما الخلاف معهم في العلة التي من أجلها لزموا الخلوة، وفي الطقوس التي شرعوها لها، وفي الثمرة التي يحصلون عليها من الخلوة(٦٣).

فنتائج الخلوة كما ذكرها الشيخ الشرقاوي **تدور وإن تعددت حول قضيتين:**

١.الاطلاع على الغيب، وهذا باطل مهما اختلى الإنسان واعتزل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (٦٤).

٢.القرب من الله ودوام شهوده، ومثل هذا الأمر أن أريد به أن صاحبه سوف لن يرى في الوجود إلا الله، وهو وحده الموجود ولا شيء سواه، فهو من عقيدة وحدة الوجود الباطلة التي سبق ذكرها، وقد أضاق الشرقاوي إلى هذين الأمرين أمرا، وهو الرؤى المنامية والتي استند عليها الصوفيين لكثير من بدعهم وخرافاتهم، والتي لا يمكن أن تدل بمجردها على حكم أو أمر شرعي.

وألخص ما سبق فأقول: إن الخلوة والعزلة تنافي الشريعة الإسلامية، فهي بدعة مستحدثة ليس فيه نفع لا للصوفي ولا لمجتمعه، بل على العكس فإن متبعها يخرج مظلم الفكر مكتئبا، نافرا عن الناس، تلاحقه الوساوس، وهذا ما يؤيده أحد أعلام الصوفية بقوله: "وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة"(٦٥).

ثانيا: الجــوع:

يقول الشيخ الشرقاوي في شأن الجوع الذي هو أحد أركان الطريق الصوفي: هو التقليل من الطعام، فلا يتناول منه إلا بمقدار ما يقيم صلبه لعبادة ربه في صلاة فريضة، فإن التنفل في الصلاة قاعدا مما يجده من الضعف لقلة الغذاء أنفع وأفضل وأقوى في تحصيل مراده من الله، من القوة التي تحصل له من الغذاء لأداء النوافل قائما، فإن الشبع داع إلى الفضول، فإن البطن إذا شبع طغت الجوارح وتصرفت في الفضول من الحركة والنظر والسماع، وهذه كلها قواطع له عن المقصود(٦٦).

وجاء عن الشيخ الشرقاوي فيه أيضا: الزم الجوع؛ لأنه جبلة أهل الله تعالى، وهو الموت الأبيض، فإن أهل الله جعلوا في طريقهم أربع موتات هذا أحدها، وموت أخضر وهو لبس المرقعات لا المشهرات، فقد كان لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ثوب يلبسه، فيه ثلاث عشرة رقعة إحداها من جلد، وهو أمير المؤمنين، وموت أسود وهو تحمل الأذى، وموت أحمر وهو مخالفة النفس في أغراضها(٦٧).

وفي المراد من قوله ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فسدوا مجاريه بالجوع والعطش»(٦٨) قال الشيخ الشرقاوي: وقد أجمع العلماء وأهل الله على أن المراد الصوم والتقليل من الطعام في السحور، فلا ينبغي الجوع من غير صوم؛ لأنه طريق غير مشروع، وإن غلط فيه بعض أهل الطريق الذين يجوعون تلامذتهم من غير صوم، أو يصمونهم ثم يطعمونهم قبل غروب الشمس فهذا غلط، إن قصدوا به مخالفة النفوس؛ بل الذي ينبغي أن يخالفوها في تعيين المأكول على حد مخصوص ووجه معين وميزان مستقيم يعرفه أهل الله تعالى، وإذا مالت إلى طعام خاص معين ردها إلى غيره؛ حتى لا تكره شيئا من نعم الله تعالى(٦٩).

النقد: لقد أخذ ابن الجوزي على بعض مشايخ الصوفية الأوائل دعوتهم إلى الجوع وتقليل الطعام، ومجاهدة النفس بترك مباحاتها، ونبَّه إلى أن اتباع الشرع وما كان عليه الصحابة أولى من اتباع هؤلاء، وأن النفس مطية، على الإنسان أن يرفق بها ليصل إلى مقصوده، فيعطيها ما يصلحها ويمنعها ما يضرها، والجسم في حاجة ماسة إلى مختلف أنواع الغذاء(٧٠).

وقوله هذا صحيح؛ لأن الاعتدال في الأكل هو المطلوب، فلا إفراط ولا تفريط، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾(٧١)؛ لأن الجسم يتضرر من كثرة الأكل، كما يتضرر من قلته، لأنّ الجوع الشديد يسبب انحرافا في طبع الإنسان؛ فيرى

الخيالات الفاسدة؛ ربما ظن أنها كرامات، والرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ استعاذ من الجوع فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»(٧٢)، والسلف الصالح كانوا يجوعون، ولكن ما كانوا يجوعون اختيارا من عند أنفسهم، وإنما كانوا لا يجدون شيئا يأكلونه، وإذا وجدوه أكلوه، فهناك فرق بين جوعهم وجوع الصوفية. والأكل وإن كان سببا في حفظ النفس ولكن كثرته مؤذية. كما أن الجوع المجرد مخالف للشرع والعقل، فالبدن دوره أداء عبادات بدنية متعددة مثل: الصلاة والحج والجهاد، وإذا عذّبه الإنسان بالجوع عجز عن الصلاة والجهاد وغيرهما من العبادات البدنية.

يقول ابن الجوزي: قال أحد السلف: "أكره التقلّل من الطعام، فإن أقواما فعلوه فعجزوا عن الفرائض"، ثم علّق على هذا فقال: "هذا صحيح. فإن المتقلّل لا يزال يتقلل، إلى أن يعجز عن النوافل ثم الفرائض، ثم يعجز عن مباشرة أهله وإعفافهم، وعن بذل القوى في الكسب لهم وعن فعل خير قد كان يفعله"(٧٣). والله تعالى أمر أن تدفع السيئة بالحسنة والجوع من قدره تعالى، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع، مع قدرته على دفعه بقدر الأكل، حتى مات: مات عاصيا، وكذلك البرد والحر والعطش، كلها من أقداره، وأمر بدفعها بأقدار تضادها، والدافع والمدفوع والدفع من قدره(٧٤).

والجوع والعطش في حديث الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذي أورده الشرقاوي «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فسدوا مجاريه بالجوع والعطش»، المراد بهما: الصوم الشرعي كما ذكر ذلك الشيخ الشرقاوي وغيره من العلماء، إلا أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بين حدا للصوم لا ينبغي للمؤمن تجاوزه، وذلك عندما بلغه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه يصوم النهار ويقوم الليل، فقال له: «فلا تفعل صم وأفطر، وقم ونم،.. وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»، وعندما استزاده رضي الله عنه، توقف ﷺ عند حد صيام داود عليه السلام فقال: «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه"، وهو صوم يوم وإفطار يوم ونهاه عن الزيادة في ذلك، وبين صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الحكمة في ذلك بقوله: «فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا(٧٥). ويؤكد ذلك قوله للثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت أزواجه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يسألون عن عبادته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا وأين نحن من النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٧٦). فهذا هو الصوم المشروع في الإسلام، وما زاد عليه فهو مخالف لسنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما نجد أيضا في السنة النبوية حثا على الاعتدال في الطعام والشراب، دون الوصول إلى حد الجوع والعطش الاختياريين، فعن الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»(٧٧)، وهذا هو التوجيه النبوي الذي لا تنبغي مخالفته، ولا يجوز شرع سنة وطريقة لم يشرعها الله ﷻ ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد بين ابن الجوزي: أن طريقة الصوفية هذه، ليست طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا طريق أصحابه وأتباعه، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئا، فإذا وجدوا أكلوا باعتدال(٧٨).

ثالثا: الصمت:

قال الشرقاوي في معنى الصمت: هو ترك الكلام، والاشتغال بذكر القلب، ونطق النفس عن نطق اللسان، إلا فيما أوجب الله عليه مثل قراءة القرآن، أو ما تيسر من القرآن في الصلاة، والتكبير بها وما شرع من التسبيح، والأذكار، والدعاء والتشهد، والصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن يسلم منها، فيتفرغ لذكر القلب بصمت اللسان، ولا يتكلم مع مخلوق من الوحوش والحشرات التي لزمته في حال سياحته، أوفي موضع عزلته. ثم ذكر الشيخ الشرقاوي أن من كان في عزلة وصمت، ثم ظهر له أحد من الجن أو من الملأ الأعلى، فإنه يغمض عينيه عنه، ولا يشتغل بالحديث معه، وإذا كلمه وفرض عليه الجواب أجاب بقدر أداء الغرض بغير مزيد، وإن لم يفرض عليه سكت واشتغل بنفسه، فإنهم إذا رأوه على هذه الحالة اجتنبوه ولم يتعرضوا له، واحتجبوا عنه، لعلمهم بأن من أشغل مشغولا بالله عن شغله به عاقبه الله أشد عقوبة، وأشار الشرقاوي بعد ذلك إلى أنه ينبغي للمعتزل الصامت أن لا ينشغل بالحديث مع نفسه بشيء ما يرجو تحصيله من الله فيما انقطع إليه، قال الشرقاوي: فإنه تضييع للوقت فيما ليس بحاصل وهو من الأماني. وإذا عود نفسه على الحديث معها حال بينه وبين ذكر الله في قلبه، فإن القلب لا يتسع للحديث والذكر معا، فيفوته

السبب المطلوب منه في عزلته وصمته وهو ذكر الله تعالى الذي به تتجلى مرآة قلبه فيحصل له تجلي ربه(٧٩).

وفي الصمت أيضا قال الشيخ الشرقاوي: والصمت أحد الأركان الأربعة التي يكون بها الرجال والنساء أبدالا، فقد يكون الأبدال من النساء.

قيل لبعضهم: كم الأبدال؟ فقال: أربعون نفسا، فقيل له: لم لا تقول رجلا، قال: لأنه قد يكون فيهم النساء، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الكمال أنه يوجد في النساء كمريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون(٨٠).

وللصمت حال ومقام؛ فمقامه ألا يرى متكلما سوى الله تعالى، فالعبد صامت بذاته، متكلم بالعرض، وحاله أن يرى أنه تعالى وإن خلق الكلام في العبد فالعبد متكلم به، كما أنه متحرك بخلق الحركة فيه.

واعلم أن باطن الإنسان لا يصح فيه صمت أصلا، بل كله ناطق بتسبيح الله -عَزَّوَجَلَّ-، فالصمت فيه محال، وأما ظاهره فلا يصح أن يصمت مطلقا(٨١)؛ لأنه مأمور بذكر الله وجوبا في أوقات مخصوصة، فالصمت المعروف عند أهل الله تعالى من ظاهر الإنسان هو ألا يتخلل صمته كلام في غير فرض ولا ذكر لله تعالى(٨٢).

النقد: الصمت يعتبر خطوة أساسية بعد الجوع عند الصوفية، ويعدّ ركنا من أركان مجاهدة النفس؛ لذلك آثروا السكوت على الكلام، لما فيه من صون النفس من آفاتها. فالصوفي بعد اعتزاله للناس وخلوته بنفسه، وبعد حمل نفسه على الجوع الشديد يلزمها الصمت لأنه عندهم من ضروريات مواصلة الطريق، ولهذا اهتم به شيوخ الصوفية وحثوا عليه. وهذا بلا شك مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، الذين يرون أن الصمت مطلقا لا يتفق مع الشرع، فالصمت محمود بل وواجب إذا كان الكلام حراما أو لغوا، وفي المقابل أمرنا الله تعالى بالكلام إذا كان السكوت حراما أو مضرا. فالصمت ينقسم إلى قسمين: صمت محمود، وصمت مذموم، فالمحمود يكون بالصمت عن كل ما حرم الله ونهى عنه، وهو الصمت عن الباطل، مثل: الغيبة والنميمة والبذاءة وغيرها، وكذلك الصمت عن الكلام المباح الذي يؤدي بك إلى الكلام الباطل. قال ابن عبد البر: "وإنما الصمت المحمود الصمت عن الباطل"(٨٣)، وأمّا الصمت المذموم فهو ما يكون في الأمور التي يتطلَّب التكلم فيها، مثل: الأماكن التي ترى فيها المنكرات، وكذلك الصمت عن نشر الخير، وكتم العلم وغير ذلك. يقول شيخ الإسلام عن الصمت المشروع: "المشروع ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن

بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت»(٨٤) فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والسكوت عن الشر خير من التكلم به"(٨٥). وقد ورد في الشرع النهي عن مطلق الصمت ظنا أنه من العبادات التي يتقرب بها لله –عَزَّوَجَلَّ–، إذ روي أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأى رجلا قائماً في الشمس فقال ما هذا ؟، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبيعَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه»(٨٦)، فالحديث واضح في النهي عن مطلق الصمت أو السكوت الذي يظن صاحبه أنه من خلاله يتقرب إلى الله ﷻ.

وأما ما ذكره الشيخ الشرقاوي في شأن الأبدال، وأنهم أربعون، فقد ذكر هذا في الحديث الذي ضعفه مجموعة من العلماء، ونصه: «الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله تعالى مكانها امرأة»(٨٧).

رابعا: السهر:

قال الشرقاوي فيه: إياك والنوم؛ بل أكثر من السهر فإنه أحد الأركان الأربعة التي تصير بها الأبدال أبدالا، وهي السهر والجوع والصمت والعزلة فإن الجوع يولد قلة الرطوبة والأبخرة الجالبة للنوم، ولا سيما شرب الماء فإنه نوم كله وشهوته كاذبه.

وفائدة السهر كما يقول الشرقاوي: التيقظ للاشتغال مع الله بما هو بصدده دائما، فإنه إذا نام انتقل إلى عالم البرزخ بحسب ما نام عليه لا يزيد عليه شيئا، فيفوته خيرا كثير مما لا يعلمه إلا في حال السهر، وأيضا إذا التزم السهر سرى إلى عين قلبه وانجلت عين بصيرته بملازمة الذكر فيرى من الخير ما شاء الله تعالى.

ولكن السهر يختلف باختلاف مقامات الصوفية، فمن كان في بداية طريق السلوك فإنه يجب عليه ما سبق من السهر وقلة النوم، وأما إذا انتقل السالك إلى مقام العارفين في نظر الصوفية، فإن مقام السهر عنده يصبح له معنى آخر، يقول الشرقاي عنه: مقام السهر عند العارفين أن يسهر العارف بقلبه، لحفظ ذاته الباطنة عن غفلتها عن الله تعالى، وإن كان نائما، كما يحفظ بسهر عينه ذاته الظاهرة عما يضرها، فيكون ممن تنام عينه ولا ينام قلبه.

ومقام النوم عندهم: حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى مشاهدة عالم البرزخ، وهو أكمل العالم وأصله ومصدره، له الوجود الحقيقي، والتحكم في الأمور كلها يجسد المعاني وما ليس قائما بنفسه، ومالا صورة له يجعل له صورة، ويجعل

المحال ممكنا(٨٨).

وفي أهمية أركان التصوف قال الشرقاوي: وفي حصول هذه الأربعة –من أركان التصوف– تحصل الأربعة التي هي أساس المعرفة لأهل الله تعالى، وقد اعتنى بها الحارث بن أسد المحاسبي(٨٩) أكثر من غيره، وهي: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة الدنيا، ومعرفة الشيطان، وذكر بعضهم معرفة الهوى بدلا من معرفة الله(٩٠).

النقد: عدّ الشرقاوي السهر أحد أركان المجاهدة الضرورية في الطريق الصوفي، وجعل الليل محل الأنس بالله، فيه يلجأ الصوفية إلى الذكر والتأمل والعبادة. ويظهر أن ما ذكره الشرقاوي في السهر وعدم النوم، لا يقصد به السهر المطلق، وإنما يقصد به عدم الإكثار من النوم في بداية الطريق ؛لأن النوم ضد العلم.

والنوم نعمة عظيمة من نعم الله، والجسم يحتاجها، وهذا السهر الدائم يضر بالجسد ويجب تركه، ويشتد تركه إذا كان يسبب تضييع صلاة الفجر؛ لأن صلاة الفجر فريضة، وقيام الليل بالصلاة والذكر غير واجبة.

وأما بالنسبة للسهر الزائد وقلة النوم عند الصوفية، فمخالف للشرع والعلم، فالسهر على الطريقة الصوفية مضر بالإنسان ومعطل لطاقته وقدراته، وقد أمرنا الله تعالى بالوسطية والاعتدال وعدم الإسراف في تعاملنا مع غرائزنا وتلبية حاجاتنا النفسية والعقلية والبدنية. فعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ينعس، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»(٩١).

وقد رأى الرسول ﷺ حبلا ممدودا بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «لا حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»(٩٢). ونذكر هنا أيضا حديث الثلاثة الذين استقلوا عبادته ﷺ وقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، فرد عليه الرسول ﷺ: «لكني.. أصلي وأرقد.. فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٩٣).

فالاعتدال هو المطلوب، إذ قيام الليل، وتجافي الإنسان عن مضجعه سنة محمودة، ومن الأمور التي حث عليها الشرع، ولكن بشرط ألا تصل إلى حد تضيع قوة البدن، وقدرته على القيام بالحقوق الواجبة عليه، وهو واضح من توجيه المصطفى ﷺ لعبد الله بن عمرو ﵁ عندما أخبره أنه يقوم الليل كله ليقرأ القران، فقال

له الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اقرأ في سبع ولا تزد»(٩٤).

وبهذا نستطيع القول بأن ما يراه الصوفية من أن الجوع والسهر قربة إلى الله تعالى، ومن أعظم العبادات، ووسيلة إلى الصفاء(٩٥)، وطريق لاستجلاب العلم الباطن، وسبيل للوصول إلى حضرة الحق(٩٦)، كل ذلك خطأ محض ترده النصوص الشرعية، فالجوع والسهر الدائم من أعظم ما يؤدي إلى اعتلال الصحة والجنون؛ ولذلك لم يسترح العلماء ولا غيرهم من العقلاء والأطباء إلى ما مال إليه أهل هذا الفن، من مدح الجوع والسهر وعدم النوم مطلقا، ورفعهما إلى تلك الدرجة، ولو كانا بابا إلى الله تعالى، وسبيلا للمكاشفات والكرامات لمدحهما الله تعالى في كتابه، ولكن الجوع والسهر وعدم النوم الدائمين لهما أثر مؤلم على كل نفس، سواء كانت صاحبة رياضة ومجاهدة، أو مؤمنة تقية(٩٧).

ومن أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في نقض هذه الأركان الأربعة، قوله: "وهكذا ما يراه الناس من الأعمال تقرباً إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلا فلو كان نفعه غالباً على ضرره لم يهمله الشارع، فإنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حكيم لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت على المؤمنين ما يقربهم إلى ربهم" وقوله: "يتحقق الدين بتصديق الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر باطناً وظاهراً من المعارف والأحوال القلبية، وفي الأقوال والأعمال الظاهرة، ومن عظّم مطلق السهر والجوع وأمر بهما مطلقاً، فهو مخطئ، بل المحمود السهر الشرعي، والجوع الشرعي"(٩٨) قوله: "ومما يأمرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية، بل سهر مطلق وجوع مطلق وصمت مطلق مع الخلوة كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره، وهي تولد لهم أحوالاً شيطانية"(٩٩).

وقوله: "لكن المسلم المتبع لشريعة الإسلام هو أن المحرم ما حرمه الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلا يحرم الحلال ولا يسرف في تناوله؛ بل يتناول ما يحتاج إليه من طعام أو لباس أو نكاح، ويقتصد في ذلك ويقتصد في العبادة؛ فلا يحمل نفسه ما لا تطيق. فهذا تجده يحصل له من مجاهدات النفس وقهر الهوى ما هو أنفع له من تلك الطريق المبتدعة الوعرة القليلة المنفعة، التي غالب من سلكها ارتد على حافره، ونقض عهده، ولم يرعها حق رعايتها. وهذا يثاب على ذلك ما لا يثاب على سلوك تلك الطريق، وتزكو به نفسه، وتسير به إلى ربه، ويجد بذلك من المزيد في

إيمانه ما لا يجده أصحاب تلك الطريق فإنهم لا بد أن تدعوهم أنفسهم إلى الشهوات المحرمة"(١٠٠).

المطلب الثاني: مراتب طريق الوصول عند الشيط الشرقاوي

أولا: تعريف الوصول:

الوصول لغة:مصدر وَصَلَ، ومنه حَدَّدُوا مَكَانَ الوُصُول، مُنْتَهَى السَّيْر(١٠١)

الوصول في الاصطلاح: إدراك الفائت. وقيل: هو وصول السر إلى مقام الذهول، وقيل: هو أن لا يشهد العبد غير خالقه، ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه(١٠٢).

وقال أيضا: نريد بالوصول العلم الحقيقي بالله تعالى بطريق الذوق والوجدان، أما وصول الذوات والأجسام فلا يصح؛ لأنه تعالى ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء، لا حسا ولا معنى، إذ كيف يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟!، وشرط الاتصال المداناة في الوصف، ولا نسبة بين كامل على الإطلاق وناقص على الإطلاق(١٠٣).

قال: ومعنى وصولك إلى الله الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة: أي: مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان، ويعبر عن ذلك العلم بـ"المشاهدة(١٠٤)"، وبـ"علم اليقين"(١٠٥) وبـ"التجلي(١٠٦) "وبـ"الفيض الرحماني(١٠٧) والتعرف العياني(١٠٨) والذوق الوجداني(١٠٩)". وأهل الشهود متفاوتون: فمنهم من يحصل له تجلي الأفعال، وهو أول التجليات عندهم، فيفنى فعله وفعل غيره في فعل الله تعالى، فلا يرى فاعلا إلا هو، ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار، وهذه أول مراتب الوصول. ومنهم من يحصل له تجلي الصفات، فيقف في مقام الهيبة والأنس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال، وهذه رتبة ثانية من رتب الوصول. ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء، مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة، فيغيب في شهوده عن وجوده، وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين، وهو أيضا رتبة أخرى من رتب الوصول.

وفوق هذا رتبة حق اليقين(١١٠)، ويكون ذلك في الدنيا لمح، وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد، حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهو من أعلى رتب الوصول(١١١).

ثانيا: النقد: أشار ابن تيمية إلى أن من أخطاء الصوفية، أنه تقع لهم في بواطنهم أشياء، فيظنون أنها في الخارج؛ فمن ذلك أن جماعة منهم عندما يغلب عليهم الذكر

والمحبة والمعرفة، وينعكس ذلك على قلوبهم ويحصل لهم ذوق واستغراق، يظنون أن ما يجدونه في باطنهم أمر مشهود بعيونهم، فيدعون أنهم يرون الله تعالى بأبصارهم، وهذا غلط وضلال؛ لأن أهل السنة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينيه فى الدنيا، لحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «واعلموا أنه لن يرى أحدا منكم ربه حتى يموت» (١١٢)(١١٣).

يقول أحد علماء الصوفية المعاصرين: "فسواء تكلم الصوفية في المحبة، أو الذكر، أو الفناء، أو الفقر، أو الوجود، تجدهم يحومون حول معان مختلفة لحقيقة واحدة، هي اتحادهم بالله، أو اتصالهم به، أو قربهم منه"، وقال آخر: "إن الاتحاد بين الصوفي وبين الله، ضروري جدا في مفهوم التصوف وإلا كان مجرد أخلاق دينية، ويقوم التصوف في توكيد المطلق، أو الوجود الحق، الذي يضم في حضنه كل الموجودات، وفي إمكان الاتصال به اتصالا متفاوتا في المراتب، حتى يصل المرء إلى مرتبة الاتحاد التام بحيث لا يبقى إلا هو"(١١٤).

والمشاهدة والتجلي التي أشار إليهما الشرقاوي هي: أن يكشف للعبد أن أنوار وجود وحدة الذات الإلهية محيطة بجميع الأشياء، وأنه تعالى متجل بصفاته وأسمائه، وأنه تعالى ظاهر في كل صورة، وحيث غدت الرياضة الصوفية ترمى إلى الوصول لله، والاتحاد به على نحو يعطى الصوفى تميزا أعلى مما كان يرمى إليه كل سالك، فلاشك أن كل ذلك ظاهر البطلان، مخالف للعقيدة الإسلامية الصحيحة، قال ابن تيمية: "وتصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة"(١١٥).

وإن قول الشيخ الشرقاوي بأن وصول الذوات والأجسام لا يصح؛ لأنه تعالى ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء، لا حسا ولا معنى، إذ كيف يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير؟!، وشرط الاتصال المدانات في الوصف، ولا نسبة بين كامل على الإطلاق وناقص على الإطلاق، لهو عين الصواب والحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، إلا أنه يعود ليطغى عليه النفس الصوفي فيقول: إن رتبة حق اليقين، تكون في الدنيا لمح، وهي سريان نور المشاهدة في كلية العبد، حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه، وهي من أعلى مراتب الوصول، وهي عبارة كما قال ابن تيمية مجملة قد تفهم على وجوه عدة، فإن قصد بها الاتصال بالله تعالى

فهو من أشد الباطل –وقد نفاه سابقا–، وإن قصد رؤية حقيقية فهو غير متحقق في الدنيا بدليل حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السابق، وإن قصد إيمانا كاملا بالله تعالى حتى كأن العبد يراه، فهذه مرتبة الإحسان، والتي لا علاقة لها مطلقا بما يدعيه الصوفية من مراتب للوصول وكلمات مبهمة مجملة، تحوي باطلا كثيرا وحقا قليلا.

وأمر آخر أشار إليه الشيخ الشرقاوي بأن أول مراتب الوصول هو:" ما ذكره من تجلي الأفعال الإلهية، فيفنى فعله وفعل غيره في فعل الله تعالى، فلا يرى فاعلا إلا هو، ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار، وهذا الذي ذكره الشيخ الشرقاوي هو عين عقيدة الجبر الباطلة في القضاء والقدر، التي يزعم أصحابها أنهم لا قدرة لهم ولا اختيار، وكأنهم كالريشة في مهب الريح، ليس له أيّ اختيار، تحرِّكه الأقدار، وله مصيرٌ محتوم مرسومٌ قبل وجوده، وهذه العقيدة لها آثار سلبية؛ بل هي من أخطر العقائد التي شاعت بين المسلمين في عصور التأخُّر، حتى انتهت بهم إلى إسقاط التكليف، وإلى الاحتجاج بالمعاصي على القدر، وهذا الزعم في الحقيقة مخالف للشرع والعقل، والأدلة الشرعية متضافرة في نسبة أفعال العباد إليهم، وأن العبد يمدح أو يذم على ما يصدر عنه من أفعال ممدوحة أو مذمومة، وليس لأحد أن يفعل المعاصي ويحتج بأنه مسلوب القدرة والاختيار، وأنه فعل ما فعل مجبرا دون إرادة منه، قال ابن الوزير اليماني: "وقد تتبعت القرآن والسنة والآثار الصحابية فلم أجد لما ادعوه في ذلك أصلا، بل وجدت النصوص في جميع هذه الأصول رادة لهذه البدعة"(١١٦).

المطلب الثالث: آداب الطريق الصوفي ونقدها

تعريف الأدب: الأدب عند الصوفية ليس فقط بمدلوله العام أي: الأدب الظاهر؛ إذ ربما يكون رياء أو نفاقا أو مجاملة واسترضاء، وإنما الأدب عندهم هو الأدب الباطني الذي يرجى منه كنس القلب من جميع الآفات وما يسيطر عليه من الرغبات والشهوات(١١٧).

يعرض الشيخ الشرقاوي بعضا من آداب التصوف المتناثرة في شروحه ومؤلفاته، متبعا بذلك ما تعارف عليه أصحاب هذا المسلك من وجوب الالتزام بآداب وتعاليم معينة، لا يمكن بدونها للسالك أن ينخرط في مسلك التصوف، منها آدابٌ ألزم بها المريد في التعامل مع شيخه حتى يكون مثاليا في طريق سلوكه، ومنها آدابٌ أوجب على الشيخ مراعاتها تجاه مريده حتى يكون قدوة صالحة ومثالا يحتذى به، وهذه الآداب هي:

أولا: آداب المريد في بداية الطريق:

١) ملازمة الشيخ وخدمته: قال الشرقاوي: لابد للمريد في هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد، قد فرغ من تأديب نفسه وتخلص من هواه، فيسلم نفسه إليه ويلزم طاعته والانقياد له في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد، فقد قالوا: "من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه"(١١٨).

ويجب على كل مريد القيام بخدمة شيخه وحرمته، والوقوف عند مراسمه لا يكتم عنه شيئا مما يعلم أن الله يعلم منه، يخدمه ما دامت له حرمة عنده، فإن سقطت حرمته من قلبه فلا يقعد عنده ساعة واحدة، فإنه لا ينتفع به ويتضرر، فإن الصحبة إنما تقع المنفعة فيها بالحرمة، فإذا رجعت الحرمة له في قلبه يخدمه وينتفع به، ونبه على أن حرمة الحق في حرمة الأشياخ وعقوقه في عقوقهم، هم حجاب الحق الحافظون أحوال القلوب على المريدين، فمتى صحب شيخًا ممن يقتدى به ولم يحترمه فعقوبته فقدان وجود الحق في قلبه والغفلة عن الله؛ لأن وجود الحق إنما يكون للأدباء، والباب دون غير الأدباء مغلق، ولا حرمان أعظم على المريد من عدم احترام الشيوخ (١١٩). ونبه الشرقاوي كذلك على أن القوم أمروا المريدين بالأدب مع المشايخ توسلا للأدب مع الله تعالى؛ لأن المريد إذا تأدب مع شيخه صار ذلك عادة له فيتأدب مع سائر الخلق، ثم يجره ذلك إلى الأدب مع الله تعالى؛ لأنه الحقيق به، وهو حاضر معه في كل حال وزمان ومكان(١٢٠).

ويذكر الشرقاوي أن من جهل المريد أن يسيء الأدب: إما مع الله ﷻ كالاعتراض عليه، وتعاطي التدبير معه، والتضرر بأحكامه المؤلمة له في نفسه أو غيره، وتصريح لسانه بالشكوى إلى الخلق. أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم، وعدم قبول إشاراتهم فيما يشيرون به عليه، فقد قالوا: عقوق الأستاذين لا توبة له، وقالوا أيضاً: من قال لأستاذه لم؟ فإنه لا يفلح، وقال القشيري: من صحب شيخاً من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه، فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة، وإن بقي من أهل السلوك قاصد لم يصل إلى مقصوده، فليعلم أن موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته، فإن الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين. وإما مع بعض الناس: باعتراض عليهم، كما وقع للجنيد أنه رأى فقيراً يسأل الناس، فقال في نفسه: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه لكان أجمل به، فثقلت عليه أوراده في تلك الليلة، ورأى جماعة أتوا له بذلك الفقير على خوان وقالوا له: كل من لحمه، فقد

اغتبته، فأصبح يفتش عليه حتى وجده، فسلم عليه، فقال له: تعود يا أبا القاسم؟ فقال:لا، فقال:غفر الله لك. وإما مع نفسه: كأن يتعاطى شهواتها المباحة ولا ينهض إلى ما يقربها من مولاها(١٢١).

٢) ومن أدب المريد مع الأشياخ أن يعلم شيخه بجميع خواطره حسنة كانت أو قبيحة، ليعرفه طريق التمييز فيها، إذ هي نحو سبعين ألف خاطر في اليوم والليلة(١٢٢).

٣) الوفاء بالعهد للشيخ المربي بحبه ووده والصدق معه والاعتقاد فيه، وعدم إخفاء أمر من أموره عنه، وتسليم الأمر له، وعدم الاعتراض عليه، وإن فرض أنه ارتكب معصية، والإقبال عليه دائما بكليتك والذل والافتقار له، وعدم توليته لظهر وتمليكه مثلما ملكت، وأن تكون لديه مثل ميت بين يدي مغسل، وامتثال أمره واجتناب نهيه، وترك مالا يرضيه، وأن تقتدي به في أفعاله بعد أمرك بها، ولا تقل إذا أمرك بشيء أو نهاك عنه: لم؟ ولا تطأ له سجادة، ولا تلبس ثيابه، ولا تجلس مكانه، ولا تؤاكله على المائدة إلا بعد إذنه في ذلك كله، واحذر من تغير باطنه عليك، فإن ذلك يؤثر في المريد ولو بعد وفاة الشيخ. وقال بعضهم: لن تصيب المريد آفة من الآفات ما دام الشيخ متوجها إليه، فإذا طرقته آفة فليبادر إلى شيخه ويسأله المسامحة إن كان الشيخ عنده، وإلا فليتوجه بقلبه إليه ويسأله الصفح عنه(١٢٣).

النقد: قد وضع الشرقاوي كغيره من علماء الصوفية للمريد آدابا ألزمه بها في التعامل مع شيخه، حتى يكون مثاليا في طريق سلوكه، هذه الآداب تتمثل في الطاعة المطلقة للشيخ، وعدم كتمان شيء عنه، والاعتقاد فيه، وخدمته، وعدم الاعتراض عليه، وقد بالغ فيها كثيرا وحاد عن طريق الصواب، ويتلخص نقد الشرقاوي في النقاط التالية:

– رفع درجة الأشياخ إلى درجة الأنبياء والمرسلين في وجوب الطاعة، وهذا باطل، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد، إذ لا معصوم بعد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية" حدود الطاعة المشروعة وضوابطها للشيخ من المريد بما حاصله: أن المسلمين قاطبة لهم مرجع يرجعون إليه لا يخالفونه قيد أنملة، وذلك المرجع هو الكتاب والسنة فإن كان الشيخ– مهما علا أمره وارتفع شأنه – يملي على مريديه ما يوافق الكتاب والسنة فنعمت الطريقة ونعم المسلك، وإن كان ما يمليه عليهم مخالفاً للكتاب والسنة، فالواجب رفضه فإنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"(١٢٤)، وهذا في الشيخ الذي ثبتت معرفته بالدين وعلمه به، وأما إن كان مبتدعاً بدعة ظاهرة،

أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا يجب الإنكار عليه في بدعته وفجوره لا أن يطاع فيما يأمر به، وإن أمر أحد من الشيوخ أو غيرهم بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعة الله ورسوله. فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال، ولو كان الآمر بها كائناً من كان(١٢٥).

ومن رفع درجة المشايخ غير المقبولة شرعا ما ذكره من أن المريد لا يسأل شيخه إذا أمره بشيء، أو نهاه عنه: لم؟، ولا يطأ له سجادة، ولا يجلس مكانه ولا يؤاكله، فإن كل ذلك باطل. فقد كان الصحابة يجالسون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأكلون معه، وأنهم ﷺ قد اعترضوا على النبيّ ﷺ عندما أظهر لهم أشياء لم يفهموها يوم الحديبية، وحتى الملائكة تساءلوا عندما قالوا لله تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾(١٢٦) وقال موسى عليه السلام:﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾(١٢٧) فلا طرقة مع الشريعة ولم يبق لأحد معها قول، وما جاءت هي إلاّ بهدم العوائد، ونقض الطرائق، وما على الشريعة أضرّ من المتكلمين والمتصوفة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١٢٨). ورأيه هذا في طريقة تعامل المريد مع شيخه قد بالغ فيه، وحاد عن الصواب، ووضعها بمثابة الطاعة العمياء؛ وذلك راجع لتقديس الأشخاص(١٢٩) عند الصوفية وقد وافق فيها الشرقاوي مشايخه.

وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة الذين يرون عدم تقديس المشايخ أياً كانت مرتبتهم أو منزلتهم، والعلاقة الحقيقية بين المريد وشيخه ينبغي أن تقوم على الاحترام والتوقير فقط، لا على التقديس والتقليد الأعمى. وينبغي لطالب العلم الاتصال بالعلماء المتمسكين بالكتاب والسنة المعروفين بحسن العقيدة والسيرة، يسألهم عما يشكل عليه؛ لأنه إذا كان لا يسأل أهل العلم قد يغلط كثيرا ويلتبس عليه الأمور.

– تحذير الشرقاوي المريد من مخالفة شيخه في أي أمر يشير به عليه؛ لأن الخلاف للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر؛ كما يحذره من مخالفة الشيخ ولو بالقلب وخطرات النفس، وأن لا يعارض شيخه في الظاهر والباطن، فهو أمر مرفوض عقلا وشرعا؛ لأن الشيخ بشر، والبشر يجري عليهم عوارض البشرية من الخطأ والنسيان وغير ذلك، وكيف يوصل الشيخ إلى الحقيقة وهو يعصي الله، فإذا اتبع المريد مثل هذا الشيخ؛ فإن هذا الشيخ يوصل إلى ولاية الشيطان لا ولاية الرحمن، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعترض عليه أصحابه، لا اعتراض جحود ولا إنكار للعمل، بل اعتراض استفهام وتعجب وليس اعتراض مكابرة، ما كان فيهم أحد أبداً يفعل ذلك ولا

يجرؤ على فعل ذلك، لكن كان اعتراض تعجب.

– جعلوا الشيوخ في مرتبة تشابه ما عليه رجال الكهنوت في الديانات المحرمة والوضعية، في كونهم وسائط بين العبد وبين ربه، وأنه ينبغي أن يعرض لهم الإنسان كل خاطر يخطر على باله ولو كان سبعين خاطر في اليوم والليلة، وهذا ما هدمه الإسلام فلا واسطة بين العبد وربه، ولا وجود لشخص ينبغي أن يكشف له الإنسان كل أسراره ودقائقه مهما كانت، كما أن مثل هذه الأمور إضاعة للوقت الثمين للمؤمن عالما ومتعلما، ففي معظم الأمور يفضل الإجمال لا التفصيل، إلا في بعض الأمور التي قد يحتاج فيها الإنسان إلى جواب شبهة، أو بيان أمر عقدي، أو حكم فقهي.

– ما أشار إليه من أن الأدب مع الشيوخ يؤدي للأدب مع الله تعالى، فهذا خطأ ولا يصح أن يجعله حجة لرفع مقام الشيوخ إلى المرتبة التي ذكرها من وجوب الطاعة العمياء ولو عصوا الله ﷻ.

– ما ذكره الشرقاوي من أن من سوء الأدب مع الله تعالى تعاطي التدبير معه، فهذا باطل، فالله ﷻ أمرنا بالأخذ بأسباب المعيشة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (١٣٠).

– توجد في كلام الشرقاوي إشارات إلى أن الشيوخ يعلمون ما في الضمائر، وهذا خطأ كبير فلا يعلم ما فيها إلا الله تعالى، حتى الرسل والملائكة –عليهم السلام– لا يعلمون ذلك إلا بإخبار الله لهم، وقد انقطع الوحي بعد وفاة آخر الرسل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فادعاء معرفة الشيوخ لما في الضمائر رفع لهم أما لدرجة الربوبية، أو لدرجة الرسل، وكلهما باطل كبير.

– وما ذكره الشرقاوي من عبارة الذل والافتقار للشيخ فهذا خطأ واضح، فالذل والافتقار لا يكون إلا لله تعالى، فهو المالك حقيقة لكل شيء، وهو رب كل شيء.

– عبارة الشرقاوي: أنه ينبغي على المريد الاعتقاد في شيخه، عبارة موهمة مجملة لم يحدد أبعادها، فإن كان معناها اعتقاد عصمته فهو باطل مخالف للكتاب والسنة، وإلا فإنه لم يحدد ما هي حدود هذا الاعتقاد ولكنه ذكر أنه لا ينبغي للمريد أن يعترض على شيخه ولو ارتكب معصية، فهو مخالف لما أمر الله ﷻ تعالى به في كتابه الكريم، وعلى لسان الرسول عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

– وما ذكره الشرقاوي من عدم الاعتراض القلبي على الشيخ على ما يراه منه، واستدلاله بقصة الجنيد التي لا سند لها، كذلك من الباطل المخالف للكتاب والسنة،

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اتجاه كل واحد من الناس، ولا يعلو عليه أحد، قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(١٣١) ، فهذا توجيه نبوي لا يتكبر عليه أحد، ولكن ينبغي حسن التوجيه، وحسن التأديب.

– وما أشار إليه من أن المريد إذا أصابته آفة فهي بسبب غضب الشيخ عليه، فاليبادر بطلب المسامحة إذا كان عند، وإلا فليتوجه بقلبه إليه ويسأله الصفح عنه، فإن مثل هذا الأمر مسلك للشيطان يؤدي بصاحبه للشرك عندما يبدأ الإنسان يسأل غير الله بقلبه ويدعوه ويرجوه ويخافه، فقلب المؤمن إنما يكون خالصا لله وحده من غير شريك لا شيخ ولا غيره.

– ولعل من الأمور الخطيرة التي أشار إليها الشرقاوي في الطريق الصوفي هو ربط المريد بشيخه شيئاً فشيئاً، حتى يصبح المريد عندهم كما يقولون كالميت بين يدي الغاسل، لا يعترض على شيخه في شيء وإن رأى منه الموبقات، ومن مبدأ الصوفية في هذا الشأن أن من قال لشيخه (لم) طرد من الطريقة وحرم من الصحبة بزعمهم، ودعوى عدم الاعتراض على الشيخ اتخذها مشايخ الصوفية للتسلطن بها على اتباعهم، ودفعا للاعتراض عليهم. وإلاّ فإن الاعتراض مشروع على كل إنسان، –كما أشرنا سابقا–.

ثانيا: آداب الشيخ العارف:

يقول الشرقاوي إن من أدب العارفين: أنهم إذا مدحهم الناس شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك؛ لأنهم حاضرون مع ربهم فلا يشاهدون معه غيره، قائلون: "ألسنة الخلق أقلام الحق"، وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم، فلا يحصل لهم إعجاب ولا اغترار(١٣٢).

وأن مطلبهم أعلى من مطلب غيرهم، سواء كان عابدا أو زاهدا أو عالما، لأن مطلبهم إنما هو الصدق في العبودية، والتزام آدابها والتخلق بأخلاقها، والقيام بحقوق الله فيها، كالشكر على ما أولاه، والصبر على ما ابتلاه، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وترك الاختيار عليه والتدبير معه، ودوام المراقبة له والوقوف ببابه، إلى غير ذلك من أوصاف العبودية وأخلاقها، فمن صدق في ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه، والقيام بحقوق الربوبية في ظاهرهم بالطاعة، وفي باطنهم بالمراقبة له ودوام الحضور معه (١٣٣).

ويرى الشرقاوي أن من آداب الشيخ أن يحرص على تلقين المريد مبادئ الخير فقال: " الشيخ من رقَاك من حضيض صفاتك المانعة لك من دخول حضرة الرب، بتوجه بسره لك، ودلك على ما فيه صلاحك وجذبك بنوره إلى سلوك طريق الحق، وهيأك لقبول الأسرار الإلهية بإزالة العوائق عنك، وملك فؤادك فلا يكون فيه متسع لغيره"(١٣٤).

والجامع لمقام الشيخوخة أن الشيخ هو من جمع جميع ما يحتاج إليه السالك في حال تربيته وكشفه، إلى أن ينتهي إلى الأهلية للشيخوخة، فإن نقص شيء مما يحتاج إليه المريد في تربيته لم يحل له أن يقعد في منصب الشيخوخة(١٣٥).

قال الشرقاوي: ولما كانت الرياضات أي تهذيب الأخلاق لا تحصل غالبا إلا بتسليم الروح للأشياخ، إذ بهم يعرف المريد حسنها من رديئها، ففائدة الشيخ اختصار الطريق ببيان ما ينفع المريد من الأعمال وما لا ينفعه(١٣٦)، وذلك أنه يوصل المريد إلى أن يصير يجعل أعماله كلها مقاصد امتثالا لأمر الله، بخلاف المريد وحده يجعل أعماله كلها وسائل، ثم يطلب الثمرة فلا يجد فينحل عزمه إلى آخر أمره(١٣٧).

ونقل الشرقاوي عن بعض الصوفية قوله: التصوف كله أدب، ولكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن ضيع شيئا منها فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يظن القبول، وما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا، ولا باطنا إلا عوقب باطنا انتهى. ونقل عن آخر قوله: ومن لم يأخذ الأدب من المؤدبين أفسد من تبعه، فلا ينتفع به إلا إن أخذ عنهم(١٣٨).

– وفي الحديث: «أدبني ربي فأحسن أدبي (١٣٩)، قال الغزالي: أدبه بمثل:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١٤٠) وما وصل الأولياء إلى الله تعالى بكثرة العمل بل بالأدب، وبه تنال السيادة في العبادة حيثما سار في البلاد(١٤١).

النقد: ذكرنا أن الشرقاوي وضع للمريد آدابا ألزمه بها في التعامل مع شيخه، حتى يكون مثاليا في طريق سلوكه، كذلك أوجب على الشيخ تجاه مريده آدابا لابد من مراعاتها، حتى يكون قدوة صالحة ومثالا يحتذى به، ومعنى هذا أن الشرقاوي يرى أن التصوف علاقة بين الشيخ والمريد، وأن الشيخ هو الأساس في التربية الصوفية، وهذا شيء غير مسلم به عند علماء أهل السنة والجماعة، فرغم أنهم يرون أن كل طالب علم لا بد له من معلم يتلقى عنه ذلك العلم، فهم يرون أيضا أنه لا يجب أن يختص الطالب بشيخ معين لا يتعداه إلى غيره، فكل من أفاده علم نافع هو شيخ له يستفيد

منه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين: فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن. كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلقاه عنهم التابعون؛ ولا يتعين ذلك في شخص معين؛ ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، وكل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها؛ وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة؛ فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرنا بعد قرن؛ وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك؛ بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحدا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١٤٢)، وقال النبي:: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ«لا فضل لعربي على عجمي؛ ولا لعجمي على عربي؛ ولا أسود على أبيض؛ ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»(١٤٣).

وقال شيخ الإسلام كذلك: يجب أن يعلم أن الشيوخ الصالحين الذين يقتدى بهم في الدين هم المتبعون لطريق الأنبياء والمرسلين، كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وطريقة هؤلاء دعوة الخلق إلى الله، وإلى طاعته وطاعة رسوله، واتباع كتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالحلال ما حلله الله ورسوله ﷺ والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ليس لأحد من الأولين والآخرين خروج عن طاعته وشريعته، ومن لم يقر به باطنا وظاهرا فهو كافر مخلد في النار، وخير الشيوخ الصالحين وأولياء الله المتقين: أتبعهم له، وأقربهم، وأعرفهم بدينه وأطوعهم لأمره، والشيوخ الذين يقتدى بهم يدلون عليه، ويرشدون إليه، بمنزلة الأئمة في الصلاة يصلون ويصلي الناس خلفهم ليس لهم من الإلهية نصيب؛ بل من جعل لهم شيئا من ذلك فهو من جنس النصارى المشركين الذين قال الله في حقهم:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١٤٤) فليس لأحد أن يدعو شيخا ميتا أو غائبا، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، ولا أن يحلف بغير الله من الملائكة والأنبياء والمشائخ والملوك وغيرهم فإنه منهي عنه(١٤٥).

وكلام شيخ الإسلام السابق كاف للرد على ما ذكره الشرقاوي من بعض الأمور الباطلة في شأن مشايخ المريدين.

• كقوله: بوجوب تسليم الروح للأشياخ، وهي من الطاعة العمياء الباطلة للمشايخ، وأن فائدة الشيخ اختصار الطريق للمريد، فإن هذه الفائدة قاصرة وباطلة إذا كان الشيخ مخالف للكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح.

• وما ذكره من توجه الشيخ بسره للمريد حتى يهيئه لدخول حضرة الرب، ويجذبه بنوره إلى سلوك طريق الحق...إلخ ما ذكره، فهو مما يؤدي للشرك إذ يعتقد المريد أن شيخه مطلع على باطنه، يؤثر فيه ما تشاء بما شاء.

• وأمر آخر يؤكد عليه الشرقاوي في كل حين، وهي قضية ترك التدبير مع الله تعالى، وهي كما سبق من التواكل الذي ليس هو من الإسلام في شيء، وتم مناقشة هذه القضية في أكثر من موضع.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتبلغ الغايات، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، فهذا بحث مبسط تحت عنوان: (الطريق الصوفي عند الشيخ عبد الله الشرقاوي "رحمه الله"). ولا ادعي فيه الكمال، ولكني بذلت فيه قصارى جهدي، فإن أصبت فمن فضل ربي وتوفيقه وهو مرادي، وأن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه براء، سائلة المولى القبول والسداد. وهذا عرض لأبرز نتائج البحث:

– الطريق الصوفي الذي شرحه الشرقاوي مملوء بالضلالات والانحرافات، وما كان فيه من الفضائل والمحاسن فهي أصلا موجودة في كتاب الله –عَزَّوَجَلَّ– وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

– يذكر الشيخ الشرقاوي أن للطريق الصوفي أركانا أربعة بالنسبة للمريدين، وهي: العزلة، الصمت، والجوع، والسهر، وبهذه الأربعة تصير الأبدال أبدالا.

– يوجب الشيخ الشرقاوي على المريد تصحيح العقيدة، وضرورة التأدب بشيخ، والشرقاوي يتبع الصوفية في موقفهم من الشيخ، ووجوب الطاعة العمياء له، وهو ما قد يخالف بعض مقاصد الشريعة من ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسن الصحبة، وعدم قبول ما يخالف الشريعة أو الموافقة عليه.

– الغلو في جوانب الزهد والتعبد ومراقبة أحوال النفس أثر على جوانب الدين الأخرى

فعطل بذلك الغلو الجهاد وطلب الرزق والسعي على الأولاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومخالطة الناس.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

(١) هذه دراسة موجزة مستلة من رسالة الباحثة في مرحلة الماجستير والتي بعنوان: (عبد الله بن حجازي الشرقاوي وآراؤه الاعتقادية (عرض ونقد).

(٢) انظر: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ)، ٢٢١/١٠، مادة [طرق].

(٣) انظر: مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القران الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للنشر،١٩٧٠م)، ١٣٢/٢-١٣٣.

(٤) عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م)، ص١٨.

(٥) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة)، ٢٠/٣.

(٦) انظر: إبراهيم محمد تركي، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، (مصر، دار الكتب القانونية،٢٠٠٩م)،٢٢٩-٢٣١.

(٧) إبراهيم محمد، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، ص٢٣٦.

(٨) إبراهيم محمد، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، ص٢٣٦-٢٣٨.

(٩) عبد الله بن حجازي الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، (ت: محمد عبد القادر نصار- أحمد فريد المزيدي، دارة الكرز -القاهرة، الطبعة الثانية،٢٠٠٨)، ص٢٨٩ .

(١٠) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٨٩.

(١١) عبد الله الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، (مكتبة أم القرى، القاهرة) ص ٨٥. وهو كلام مهموم يدور بين الجبر المطلق، ووحدة الوجود.

(١٢) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ص٦٤-٦٥.

(١٣) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ص١٣٤.

(١٤) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص٢٨٧.

(١٥) المجذوب: من اصطنعه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بماء قدسه، فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. الكاشاني، معجم مصطلحات الصوفية،ص٩٦.

(١٦) السالك: هو السائر إلى الله، المتوسط بين المريد والمنتهى مادام في السير. الكاشاني، معجم مصطلحات الصوفية،ص١١٩.

(١٧) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص٥٣.

(١٨) الغيبة: هي غيبة السالك عن رسوم العلم، لقوة نور الكشف، وهي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، بل من أحوال نفسه بما يرد عليه من الحق، إذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة، فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه وعن الخلق. الكاشاني، معجم

مصطلحات الصوفية،ص ١١٩، و الجرجاني، التعريفات، ص ١٦٣.

(١٩) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص١٨٦.٢٣

(٢٠) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ص١٨٧.

(٢١) سورة الذاريات:٥٦.

(٢٢) سورة الإسراء:١.

(٢٣) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص١٤٤.

(٢٤) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص٣٤.

(٢٥) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص٣٣.

(٢٦) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص٤٧.

(٢٧) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ص١٣٤.

(٢٨) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦-١٩٩٥)، ٢٧٣/١٩.

(٢٩) سليمان بن سمحان النجدي، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق:عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ط٣، (مكتبة الفرقان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٢٤.

(٣٠) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦٦/٨.

(٣١) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م)، ٦٠/١.

(٣٢) محمد السيد الجلنيد، من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ط٤،(القاهرة، دار قباء،،٢٠٠١) ص١١٤.

(٣٣) سورة فاطر:٢٨.

(٣٤) سورة الجن:١٠.

(٣٥) سورة الحج:٧٥.

(٣٦) سورة آل عمران:١٠٤.

(٣٧) مسند أحمد، ح٢٠٥، مسند العشرة المبشرين بالجنة، أول مسند عمر بن الخطاب ﷺ، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة فمن رجال مسلم، ٣٣٢/١.

(٣٨) أحمد بن الحسين البيهقى شعب الإيمان، ط١، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣، ٤٠٥/٢.

(٣٩) سورة الأنفال:٢.

(٤٠) سورة الأعراف:٣٢.

(٤١) الأبدال في اصطلاح الصوفية: هم سبعة يسافر أحدهم عن موضع ويترك فيه جسدا على صورته، بحيث لا يعرف أنه فقد، وذلك معنى البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم، عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، ط١، (القاهرة: دار المنار، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)،ص٦٢. وقال المناوي: "الأبدال جمع بدل وهم: طائفة من الأولياء، قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ

الله بهم الأقاليم السبعة، .. وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار، والحركات، والمنازل وغيرها، ولهم من الأسماء أسماء الصفات، وكل واحد بحسب ما يعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة" [عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١،(القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ٣٠/٣٩. وفي معجم ألفاظ الصوفية: "الأبدال جمع بدل، إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية، لا يعرفهم عامة الناس -أهل الغيب-، وهم يشاركون بما لهم من اقتدار، له أثره في حفظ نظام الكون"حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ط١، (القاهرة: مؤسسة مختار، ١٩٨٧م)،ص ٢٢.

(٤٢) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٨٢.

(٤٣) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٦٤.

(٤٤) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ٤٠.

(٤٥) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ٤٠.

(٤٦) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ٧٣-٧٤.

(٤٧) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ٧٥-٨١.

(٤٨) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ٨٥.

(٤٩) الشهود: هو رؤية الحق بالحق. [انظر: عبد الرزاق الكاشاني، اصطلاحات الصوفية، ط١، ١٧١/ وعلي محمد الجرجاني، التعريفات، ط١، ١٢٩].

(٥٠) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ٨٣-٨٤.

(٥١) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ٨٨.

(٥٢) الجمعية: اجتماع الهمم في التوجه إلى الله تعالى، والاشتغال به عما سواه، وبإيزائها التفرقة. انظر: الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية،ص ٦٧، و الجرجاني، التعريفات،ص٧٧.

(٥٣) الحديث الدال على ذلك في: صحيح مسلم، ح٢٥٥، كتاب الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، ٤٥٢/١.

(٥٤) سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير،ط٢، ح٤٢٢، (١٧٠/١)، قال الألباني: صحيح، انظر: عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع،ح ٦١٤٤، (١١٥٨/٢).

(٥٥) سورة التوبة:١٢٢.

(٥٦) سورة مريم:٤٨.

(٥٧) ابن تيميه، مجموع الفتاوى، ٤٠٥/١٠.

(٥٨) صحيح البخاري، ح١٩، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، ١٣/١.

(٥٩) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تلبيس ابليس، ط١، (لبنان -دار الفكر)، ٢٨٠.

(٦٠) إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، ط١، (القاهرة: دار الإمام المجدد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ٩٨.

(٦١) سورة الأعراف:٣٢.

(٦٢) وحدة الوجود: هى القول بأن وجود الكائنات عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة. انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(١٤٠/٢)، وانظر: الجرجاني،التعريفات،

ص٢٥٠.

(٦٣)أحمد القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، (السعودية، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ص ٣٤٢.

(٦٤) سورة آل عمران:١٧٩.

(٦٥) السهروردي، عوارف المعارف، ٢١٣/١.

(٦٦) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ص ٢٨٣.

(٦٧) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ص ٦٠.

(٦٨) صحيح البخاري، ح٢٠٣٩، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، ٥٠/٣، بدون قوله «فسدوا مجاريه بالجوع والعطش».

(٦٩) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٦٢.

(٧٠) ابن الجوزي، تلبيس إبليس،ص ١٧٢-١٧٣.

(٧١) سورة الأعراف:٣١.

(٧٢) سنن ابن ماجة، ح٣٣٥٤، أبواب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع، ٤٥١/٤، سنن النسائي، ح٥٤٦٨، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع، ٢٦٣/٨. قال الألباني: (حسن صحيح) انظر: ح ١٢٨٣، صحيح الجامع(٢٧٥/١).

(٧٣) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، صيد الخاطر، ط١، ١٤٢٥/٢٠٠٤م، (دمشق دار القلم)،ص٣٦-٣٧.

(٧٤) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م)،٢١٧/١.

(٧٥) الحديث كاملا في: صحيح البخاري، ح١٩٧٥، كتاب الصيام، باب حق الجسم في الصوم، ٣٥/٣. وصحيح مسلم، ح١١٥٩، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، ٦٩٧/٢.

(٧٦) صحيح البخاري، ح٤٧٧٦، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ١٩٤٩/٥.

(٧٧) سنن الترمذي، ح٢٣٨٠، أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ٥٩٠/٤.

(٧٨) انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس،ص ١٣٦.

(٧٩) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ص٢٨٢.

(٨٠) يشير الشيخ الشرقاوي إلى حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». صحيح البخاري،٣٤١١، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ [التحريم: ١١]- إلى قوله - ﴿وكانت من القانتين﴾ [التحريم: ١٢]، ١٥٨/٤.

(٨١) يقصد الشرقاوي: دواما، فلا يصح أن يصمت على الدوام.

(٨٢) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٦٣-٦٤.

(٨٣) أبو عمر يوسف بن عبد البر بن عاصم القرطبي،التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ)،٢٠/٢٢.

(٨٤) صحيح البخاري، ح٦٠١٨، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ١١/٨ .

(٨٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣١٥/٢٢.

(٨٦) صحيح البخاري، ح٦٣٢٦، كتاب النذور، باب النذر فيما لا يملك وفي المعصية، ٢٤٦٥/٦.

(٨٧) قال الألباني في ضعيف الجامع: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع وزيادته، ح٢٢٦٥،، ١٩٥/٣. وقال ابن الجوزي: لا يصح، انظر: الموضوعات لابن الجوزي، كتاب الزهد، ١٥٢/٣.

(٨٨) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٦٠-٦٢. بتصرف يسير.

(٨٩) هو: الحارث بن أسد المحاسبي وكنيته أبو عبد الله، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات له التصانيف المشهورة منها كتاب الرعاية لحقوق الله وغيره، وهو أستاذ أكثر البغداديين وهو من أهل البصرة، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين. محمد النيسابوري، طبقات الصوفية، ٥٨.

(٩٠) عبدالله الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ص٢٨٣.

(٩١) صحيح البخاري، ح٢١٢، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم، ومن لم ير من النعسة والنعستين، (٥٣/١).

(٩٢) صحيح البخاري، ح١١٥٠، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ٥٤/٢.

(٩٣) تقدم تخريجه.

(٩٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القران، ج٨/ص٦١٧.

(٩٥) الصفاء: هو البعد عن المذمومات، وإماتة الشهوات، فالصفاء مرآة القلب الطاهرة التي بنى عليها الحقائق بهد التخلص من آفات العادة والطبع الرديء، وهو عدم الركون لطلبات النفس من الفتوحات المكاشفات والتجليات، وإنما طهارة النفس بلا ملاحظة واهتمام، حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ص١٩٠.

(٩٦) يستخدم الصوفية كلمة الحق ويعنون بها اسم الله الأعظم، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٢٥]. حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية،ص١٢٥.

(٩٧) علي المرتضى، موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة،ص١٠٦.

(٩٨) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٠٨/٢٢.

(٩٩) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤٠٣/١٠.

(١٠٠) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤٦٠/١٤.

(١٠١) انظر: في تعريف الوصول أيضا: الرازي، مختار الصحاح، مادة [وصل]،٣٤٠. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤٨٥١/٦ مادة [وصل] .

(١٠٢) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص٢٨٥.

(١٠٣) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ١٦٢. وشرح الحكم الصوفية، ص٢٣٤.

(١٠٤) المشاهدة "شهود الذات، بارتفاع الحجاب مطلقاً..ودرجتها شهود الحق ذاته بذاته، لفناء العبد

بكليته في عين الجمع. انظر: الكاشاني، معجم ألفاظ الصوفية،ص ٣٤٧.

(١٠٥) قال الكاشاني: اليقين: الوقوف على الحقائق بالكشف. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، ص٢٧٤وقال السهروردي: علم اليقين: ما كان من طريق النظر والاستدلال، وهو للأولياء، قال فارس: علم اليقين لا اضطراب فيه. انظر: عوارف المعارف، ٤٩١/١.

(١٠٦) التجلي: هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وهو على أقسام: التجلي بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم، والتجلي بطريق الصفات يكسب الهيبة والأنس، والتجلي بالذات يكسب الفناء والبقاء، فإذا وصل العبد إلى مبادىء أقسام التجلي وهو مطالعة الفعل الإلهي مجرداً عن فعل سواه يكون تناوله الأقسام من الفتوح. انظر: الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية،ص ١٧٣، السهروردي، عوارف المعارف، ص١٤١.

(١٠٧) يستخدم الصوفية لفظ الفيض بمعنى أن الحق تعالى يسبغ بعض نعمه على أحبائه ظاهرة وباطنة، بفتح رباني، فالصوفي الهاجر لمجالس الخلق، يقنع بالذكر حتى بقدح في القلب فيفيض الله عليه بنعمه وأسراره، لمجالسته له. انظر: حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ص٢٢٩.

(١٠٨) لم أجد له معنى.

(١٠٩) الذوق: يراد به الذوق الإيمانى، تشبيها له بالتذوق فى المحسوسات، فالأذواق التى يشير القوم إليها، هى علوم لا تنال إلا لمن كان خالى القلب عن جميع العلائق والعوائق كلها،وهو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. انظر: الكاشاني، معجم مصطلحات الصوفية، ١٨١، ومحمود الرضواني، المعجم الصوفي،ص ٧٠٠.

(١١٠) حق اليقين: عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علمًا وشهودًا، وحالًا لا علمًا فقط، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، فإذا أذاق الموت فهو حق اليقين، وقيل: علم اليقين: ظاهر الشريعة، وعين اليقين: الإخلاص فيها، وحق اليقين: المشاهدة فيها. انظر: الجرجاني، التعريفات،ص ٩٠.

(١١١) الشرقاوي، الحكم العطائية،ص١٦٢.

(١١٢) أخرجه أحمد في السند، ط الرسالة، ج٣٩/ص٧٦/ح ٢٣٦٧٢.

(١١٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥ /٤٩٠ .

(١١٤) أحمد القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية،ص٥٨.

(١١٥) ابن تيمية، مجموع الرسائل والمسائل، ٨/٤.

(١١٦) محمد بن إبراهيم المرتضى اليمني، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٧م)،ص ٣٣٠.

(١١٧) حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ٣٥.

(١١٨) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ١٨٠.

(١١٩) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، ٢٨٨– ٢٨٩.

(١٢٠) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٦٦.

(١٢١) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، ص ٧٧.

(١٢٢) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ١٣٩.
(١٢٣) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٥٢.
(١٢٤) انظر الجامع الصحيح سنن الترمذي:كتاب الجهاد. باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ٢٠٩/٤، قال الألباني (صحيح) انظر: السلسة الصحيحة، ٣٤٨/١.
(١٢٥) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥١٧/١١.
(١٢٦) سورة البقرة:٣٠.
(١٢٧) سورة الأعراف:١٥٥.
(١٢٨) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ١٣٥/٤.
(١٢٩) تقديس الأشخاص: فهو رفع الشخص فوق منزلته التي أنزله الله إياها، وإضفاء نوع من القداسة الذاتية أو المكتسبة عليه والاعتقاد بها، الأمر الذي يستوجب ويستتبع الخضوع له والإذعان لأوامره دون عرضها على ميزان الكتاب والسنة، مع التوجه إليه حيا أو ميتا بأنواع من التوجهات التي لا يجوز التوجه بمثلها لغير الله تعالى.محمد أحمد لوح، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ط١، (مصر: دار ابت عفان،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ٤٥.
(١٣٠) سورة المُلك:١٥.
(١٣١) صحيح مسلم، ح٧٨،كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٦٩/١.
(١٣٢) الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص ١٢٦.
(١٣٣) انظر: الشرقاوي، شرح الحكم العطائية،ص ٨٦.
(١٣٤) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص٢٨٧.
(١٣٥) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٨٧-٢٨٨.
(١٣٦) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٨١.
(١٣٧) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٨٥.
(١٣٨) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ٢٨٥.
(١٣٩) لا أصل ثابت لهذا الحديث في كتب السنة المعتبرة،قال الحافظ ابن حجر: أخرجه العسكري في الأمثال في أول حديث، سنده غريب، وقد سئل عنه بعض الأئمة فأنكروا وجوده، انظر: ابن حجر العسقلاني، الفتاوى الحديثية، ٣٩٩/٣.
(١٤٠) سورة الأعراف:١٩٩.
(١٤١) الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية،ص ١٧٠.
(١٤٢) سورة الحُجُرات:١٣.
(١٤٣) مسند أحمد،ح ٢٣٤٩٠، مسند حديث رجل من أصحاب الرسول ﷺ، ٤٧٥/٥. قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ٢٦٦/٣.
(١٤٤) سورة التوبة:٣١.
(١٤٥) انظر: أحمد ابن تيمية الحراني، فقه التصوف، تهذيب وتعليق: زهير شفيق، ط١، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م)، ٢٧٣-٢٨٠، بتصرف.

فهرس المصادر

- إبراهيم محمد تركي، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، (مصر، دار الكتب القانونية،٢٠٠٩م).

- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م).
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة).
- إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف،ط١، (القاهرة: دار الإمام المجدد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)
- أحمد القصير، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، (السعودية، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- أحمد بن الحسين البيهقي شعب الإيمان، ط١(حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلى عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوى، صاحب الدار السلفية ببومباى- الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، هـ١٤١٦-١٩٩٥م).
- أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل،ط١ (الناشر: مؤسسة الرسالة، المحقق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون١٤٢١).
- جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، (بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ).
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، صيد الخاطر، ط١، ١٤٢٥/٢٠٠٤م، (دمشق دار القلم).
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تلبيس إبليس، ط١، (لبنان -دار الفكر).
- زين الدين أبي الفرج، الشهير بابن رجب، فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ط٢ (تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار النشر: دار ابن الجوزي-السعودية/الدمام - ١٤٢٢هـ).
- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ط٢(المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة).
- سليمان بن سمحان النجدي، منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، ط٣، (مكتبة الفرقان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)
- عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٢م).
- عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع، (الناشر: المكتب الإسلامي).
- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، ط١، (القاهرة: دار المنار، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)
- عبد الله الشرقاوي، شرح الحكم العطائية، (مكتبة أم القرى، القاهرة).
- عبد الله بن حجازي الشرقاوي، شرح الحكم الصوفية، (ت: محمد عبد القادر نصار - أحمد فريد المزيدي، دارة الكرز -القاهرة، الطبعة الثانية،٢٠٠٨).
- علي بن محمد بن علي الزين الجرجاني، التعريفات، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية - لبنان،١٤٠٣هـ =١٩٨٣م).
- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القران الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للنشر،١٩٧٠م).
- محمد السيد الجليند، من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ط٤،(القاهرة، دار قباء،٢٠٠١)

- محمد بن إبراهيم المرتضى اليمني، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م)
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بـ(صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).